

أوجه الإعجاز في السنة النبوية دراسة تطبيقية في أحاديث الطهارة

د. عائشة بنت محمد الحربي

قسم الكتاب والسنة - كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

amrharbi@uqu.edu.sa

أوجه الإعجاز في السنة النبوية

دراسة تطبيقية في أحاديث الطهارة

د. عائشة بنت محمد الحربي

الملخص:

يهدف البحث للكشف عن بعض نواحي الإعجاز في السنة النبوية ممثلة في أحاديث الطهارة:

وموضوع البحث: دراسة تطبيقية لبيان أهم أوجه الإعجاز في السنة وهي (الإعجاز التشريعي - والبلاغي - والغبي - والعلمي) ونطاق الدراسة التطبيقية: أحاديث الطهارة فقط.

وعنوانها: (بعض وجوه الإعجاز في السنة النبوية: دراسة تطبيقية في أحاديث الطهارة). واشتمل على مقدمة لبيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهدافه، وخطة البحث، ومنهجه. وفصلان: الأول: بينت فيه مدلول الإعجاز في السنة النبوية: وأنواعه وضوابطه، والثاني: دراسة تطبيقية لبعض وجوه الإعجاز في السنة النبوية، في نماذج تطبيقية من كل من الإعجاز التشريعي، والإعجاز الغبي، والإعجاز البلاغي، ومن الإعجاز العلمي في أحاديث الطهارة

واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي: في حصر وتوصيف أنواع الإعجاز في السنة النبوية وضوابطها، والاستقرائي: في تتبع تطبيقاتها في أحاديث الطهارة وانتقاء النماذج المختارة. والتحليلي: في تحقيق مناط الإعجاز في النماذج المختارة للدراسة.

وقد خلص البحث إلى اشتمال أحاديث الطهارة على جملة من وجوه دلائل النبوة من حيث الإعجاز التشريعي والبلاغي، والإخبار بالمغيبات، والإخبار بما لم تتوصل علوم الآلة البشرية لإدراكه من الحكم واللطائف العلمية المادية إلا في هذا العصر، وأوصي بالتدبر والتأمل في الأحاديث النبوية وفهمها وفق قواعد السلف في فهم النصوص، مع الاستئناس بما تدل عليه حقائق العلم المادي القاطعة مما يتفق مع خبر الوحي الثابت عن سيد البشر.

explore some miraculous aspects of the Prophetic Tradition (Sunnah) represented - in the hadiths of purity Tahara

Abstract:

The study aims to explore some miraculous aspects of the Prophetic Tradition (Sunnah) represented in the hadiths of purity (Tahara):

Research subject: An Applied Study to Show the Most Important Miraculous Aspects in the Prophetic Tradition (Legislative, Rhetorical, Metaphysical and Scientific Miraculous Aspects).

The scope of the applied study: Prophetic Tradition of Purity (Tahara) only

Title: Some Miraculous Aspects in the Prophetic Tradition (Sunnah): An Applied Study of Prophetic Tradition of purity (Tahara)

It included an introduction to show the importance of the topic, reasons for selection, literature, research plan, methodology, and two chapters: Chapter 1 is about the meaning of miraculous aspects in the Prophetic Tradition (Sunnah), its types and rules.

Chapter 2 is an applied study of some legislative, rhetorical, metaphysical and scientific miraculous aspects in the Prophetic Tradition of purity (Tahara).

The analytical descriptive approach was used in this study to describe and characterize the types of miraculous aspects in Prophetic Tradition (Sunnah) and its rules. The inductive approach was used in tracing the applications of some Prophetic Tradition (Sunna) of purity (Tahara) and selecting the selected models. The analytical approach was used in verifying the miraculous aspects in the models chosen for the study.

The research concluded that the Prophetic Tradition of purity (Tahara) included a number of aspects of signs of prophecy in terms of the miraculous legislative and rhetorical miraculous aspects, telling about metaphysics, telling about what all human and natural sciences have not recognized in terms of some wisdom and scientific facts except in this age.

It is recommended to meditate and contemplate on the prophetic traditions and understand them according to the rules of the ancient scholars (Al-Salaf) in understanding the texts, while drawing on the evidence of the decisive facts of natural science, consistent with the news of the righteous revelation of the master of humanity, the Prophet Mohammed (PBUH).

المقدمة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ الحمد لله بما حمد نفسه في كتابه، والصلاة والسلام على نبيه وعلى آله وأصحابه أما بعد..

فقد اختص الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بخاتمة رسالاته إلى كافة الثققلين الجن والإنس، فجعلها دائمة بدوام وجودهم باقية إلى قيام الساعة، ونصب له من الآيات الباهرة، والدلائل المتنوعة على نبوته وصدقه ما تقوم به الحجة على آخرهم كما قامت على أولهم، فكانت آيات صدقه ﷺ وعلامات نبوته باقية بقاء رسالته، ملائمة لأفهام المخاطبين بها، وعقولهم، كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم، وتباعد عصورهم وأزمانهم.

وذلك أن آيات صدقه ﷺ ودلائل نبوته استوعبت جميع أجناس الآيات الفعلية والخبرية^(١) وأعظمها القرآن الكريم وهو الآية العظمى التي وقع بها التحدي^(٢) وأما سواه من الآيات والمعجزات فلم يقع بها التحدي، وقد حفلت السنة الشريفة بهذا النوع من الآيات فعلية وخبرية^(٣)، وكلها تحمل في ذاتها إثبات نبوته، وأنه لا ينطق عن الهوى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(٤)، كما أن القرآن الكريم تحمل كل آية -وربما كلمة فقط- منه في ذاته اثبات كونه كلام الله المعجز.

أهمية الموضوع:

لم ينل ميدان الإعجاز في السنة المطهرة ما ناله الإعجاز في القرآن الكريم من الدراسة والتأصيل والتحليل قديماً وحديثاً، مع أنّ لنبينا ﷺ وراء القرآن من الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات ما لا يخفى وأكثر من أن يحصى، فإنه ﷺ أكثر الرسل آيات وبيانات، وذكر بعض أهل العلم أن أعلام نبوته تبلغ ألفاً^(٥)، بل إن معجزات المصطفى ﷺ أكثر من أن يحصرها عدد، وأشهر من أن يحصرها سند، كما قال أبو نعيم الأصفهاني^(٦). بل نقل ابن حجر^(٧) أنها ثلاثة آلاف معجزة.

ويبدو أن سبب ذلك أحد الأمور التالية:

الأول: أن إعجاز القرآن الكريم وهو المعجزة الكبرى الخالدة التي وقع التحدي بها، كان وحده كاف في ثبوت كونه كلام الله وفي ثبوت نبوة محمد ﷺ ورسالته، فأغنى عن البحث عن الإعجاز في السنة النبوية.

الثاني: ما ذهب إليه بعض أهل العلم المحققين المتأخرين من أن نسبة الإعجاز للسنة ينقض إعجاز القرآن الكريم، ولم يبن لي وجه ذلك^(٨) إذ أن ثبوت الإعجاز في القرآن الكريم لتأييد النبوة، وإثبات أن القرآن كلام الله المتحدى بلفظه المحفوظ المتلو، وثبوت الإعجاز في السنة لتأييد النبوة بالوحي غير المتلو، وفيه رد على منكري السنة بالكلية.

الثالث: أن القرآن الكريم وقد ملك أسرار الإعجاز من كل وجه، بمر نفوس أهل العلم والبيان، وأخذ بمجامع أفئدتهم ولا يزال - ولن يزال - معيناً لا ينضب، لدراسة التحليل والاستدلال، على كونه آية الله المعجزة، وحجته البالغة إلى قيام الساعة، ويستحق - بحق - أن يكون مشغلة الفكر الإنساني على مرّ العصور وكرّ الدهور.

وهذا السبب وذاك كل منها يعذر أهل العلم، لكنه لا يمنع من كشف الوجوه الأخرى من الآيات التي أيد الله بها نبيه المصطفى ﷺ، وقد حفظها الله بحفظ دينه^(٩)، للمزيد من إقامة الحجة على الخلق حيناً بعد حين، ودهراً بعد دهر، فرب آية منها - ليس سواها - دليل يسوق بعض النفوس إلى الإيمان عن يقين وتسليم فتكون الحجة بها قائمة، وقد أشار لذلك النبي ﷺ بقوله: «ما من نبي إلا قد أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي»^(١٠)، وقد فسر ﷺ مراده بالوحي الذي أوتيه في الحديث الآخر: «ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه»^(١١)، أي أن السنة مثله في الحجة؛ لأن كليهما يدخل في قوله ﷺ «وحياً أوحاه الله إلي»، فكلاهما يصدق عليه قوله: «ما مثله آمن عليه البشر». وقد أشار لنحو هذا المعنى البيهقي في الدلائل^(١٢)، فقال: «لما جمع الله لنبيه ﷺ بين أمرين: أحدهما: بعثه إلى الجن والإنس عامة، والآخر: ختمه النبوة به ظاهر له من الحجج حتى إن شذت واحدة عن فريق بلغتهم أخرى، وإن لم تنجع واحدة نجعت أخرى، وإن درست على الأيام واحدة بقيت أخرى، وفيه في كل حال الحجة البالغة».

وعلى ذلك فإنه يجدر أن تتجه المهمم والعزائم لتأصيل قواعد وضوابط علم الإعجاز في السنة النبوية بتحرير مصطلحاته وتقاسيمه، ثم دراسة تطبيقاته في موضوعاتها المختلفة، سواء في ذلك السنة القولية والفعلية والتقريبية بل والوصفية^(١٣).

ولا ريب أن إبراز هذا الوجه من السنة الشريفة في هذا الوقت -الذي يشهد عودًا حميدًا لإحياء السنة كما يشهد زحفًا عنيدًا لرشقها بسهام الشبهات- أمر من الأهمية -في الدراسات الحديثة- بمكان؛ إذ يحتاجه المقبلون على إحياء السنة كما يحتاجه أولئك المرتابون والجامحون، ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ولتتبدد ظلمات الشبهات وترتد سهامها خائبة، ولتبقى المحجة بيضاء نقية ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك هذا من جهة أهميته.

ونظرًا لأهمية مثل تلك الدراسات والحاجة إليها رأيت أن يكون موضوع بحثي الكشف عن بعض أوجه الإعجاز في السنة النبوية وهي (الإعجاز التشريعي - والغبيي - والبلاغي) ممثلة في أحاديث الطهارة:

وموضوع البحث: دراسة تطبيقية لبيان أهم أوجه الإعجاز في السنة.

ونطاق الدراسة التطبيقية: أحاديث الطهارة فقط.

وعنوانها: (أوجه الإعجاز في السنة النبوية: دراسة تطبيقية في أحاديث الطهارة).

أسباب اختيار الموضوع:

من جهة أخرى نحن نفتقر إلى تكثيف الدراسات التحليلية للكشف عن وجوه الإعجاز ودلائل النبوة في كلام النبي ﷺ استنادًا إلى الحقيقة الكبرى التي نطق بها القرآن الكريم في كونه ﷺ لا ينطق عن الهوى، فلم يكن قوله ﷺ إلا وحي من الوحي، فهو جزء من دلائل نبوته ﷺ كما عبر عنه -عليه الصلاة والسلام- بأفصح عبارة فيما رواه الشيخان^(١٤) عن أبي هريرة ربه مرفوعًا: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

الدراسات السابقة:

وقفت على مؤلفات عدة خاصة في الإعجاز العلمي في السنة منها:

- أ- الإعجاز العلمي في السنة النبوية: د/ صالح أحمد رضا في مجلدين.
 ب- الإعجاز العلمي في السنة النبوية (تعريفه وقواعده) د. محمد بن عمر بازمول (صفحة موقع د. محمد بازمول بموقع جامعة أم القرى)
 ج- الإعجاز العلمي إلى أين د. مساعد الطيار (دار المحدث)- موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف: عبد الرحيم مارديني، في مجلد واحد لطيف.
 وهناك عدة مقالات منشورة في بعض المجلات العلمية كمجلة الإعجاز العلمي، ومجلة المجمع الفقهي الإسلامي عدد ٨، ٩.

والدراسات السابقة ركزت على أحد جوانب الإعجاز في السنة النبوية وهو الإعجاز العلمي كما ركزت على الجانب النظري للإعجاز العلمي على وجه الخصوص فتناولت مناقشة مسألة إثبات قضية الإعجاز العلمي -عدا كتاب الدكتور صالح رضا الذي أفرد لمسائل متفرقة من الإعجاز العلمي-، إلا أني لم أقف على أبحاث علمية مفردة للكشف عن وجوه الإعجاز في أبواب مخصوصة السنة المطهرة من الناحية التطبيقية وفق الصورة المطروحة هنا.

واستناداً إلى استمرار حاجة المكتبة الحديثة للدراسات المتخصصة المفردة للجانب التطبيقي؛ فقد أردت أن أضم الجانب التطبيقي للجانب النظري في أهم وجوه الإعجاز في باب مخصوص من السنة النبوية هو باب الطهارة، تحقيقاً للأهداف التالية:

- ١- بيان ما توصل إليه المحققون القدماء والمعاصرون في شأن مدلول إعجاز السنة النبوية وأهم ما تشتمل عليه من وجوه الإعجاز: البلاغي والتشريعي والغبيبي والعلمي
 ٢- الكشف عن الضوابط الخاصة لكل نوع من أنواع الإعجاز في السنة النبوية، التي لا تتم دعوى وجود الإعجاز إلا بها وينبغي مراعاتها في هذا الفرع من فقه السنة النبوية.

٣- بيان ما اشتملت عليه أحاديث الطهارة من وجوه دلائل نبوته ﷺ من حيث الإعجاز التشريعي والبلاغي، والإخبار بالمغيبات، والإخبار بما لم تتوصل علوم الآلة البشرية لإدراكه من الحكم واللطائف العلمية المادية إلا في هذا العصر، ولتحقيق تلك الأهداف قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج الباحثة.

التمهيد: الإعجاز في السنة النبوية: مدلوله العام، وأنواعه وضوابطه

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: المصطلحات المرادفة لمعنى الإعجاز.

المطلب الثالث: المعجزة والفرق بينها وبين دلائل النبوة.

المطلب الرابع: تعريف السنة النبوية لغة واصطلاحًا.

المطلب الخامس: أهمية دراسة الإعجاز في السنة النبوية.

المبحث الأول: الإعجاز التشريعي في السنة، مدلوله، وضوابطه وتطبيقاته

المطلب الأول: ضوابط الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.

المطلب الثاني: نماذج من تطبيقات الإعجاز التشريعي في أحاديث الطهارة.

المبحث الثاني: الإعجاز الغيبي في السنة، مدلوله، وضوابطه وتطبيقاته

المطلب الأول: ضوابط الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.

المطلب الثاني: نماذج من تطبيقات الإعجاز الغيبي في أحاديث الطهارة.

المبحث الثالث: الإعجاز البلاغي في السنة، مدلوله، ضوابطه وتطبيقاته

المطلب الأول: ضوابط الإعجاز البلاغي في السنة النبوية.

المطلب الثاني: نماذج من تطبيقات الإعجاز البلاغي في أحاديث الطهارة.

المبحث الرابع: الإعجاز العلمي في السنة، مدلوله، ضوابطه وتطبيقاته

المطلب الأول: ضوابط الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

المطلب الثاني: نماذج من تطبيقات الإعجاز العلمي في أحاديث الطهارة

الخلاصة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس العلمية.

وأما المنهج المتبع في الدراسة فحسبما تتطلب كل مرحلة من مراحل البحث، فالمنهج الوصفي التحليلي: في حصر وتوصيف أنواع الإعجاز في السنة النبوية وضوابطها.

والاستقرائي: في تتبع تطبيقاتها في أحاديث الطهارة وانتقاء النماذج المختارة.

والتحليلي: في تحقيق مناط الإعجاز في النماذج المختارة للدراسة.

وذلك كله وفق المتبع في الأعراف العلمية من عزو وتوثيق وتخريج وتعريف للمصطلحات، وترجمة لغير المشاهير وضبط لما أشكل.

هذا والله أسأل أن يوفقني للهدى والسداد ويعصمني من الخطأ والزلل إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

التمهيد

الإعجاز في السنة النبوية: مدلوله العام، وأنواعه وضوابطه

وفيه خمسة مطالب:

لعل الوقوف على مدلول الإعجاز في السنة المطهرة وتجليه المراد به، وتخليص مصطلحاته من آثار الجدال الطويل الذي دار بين العلماء قديماً في تعريف المعجزة والإعجاز؛ لعل ذلك أول ما يحتاج إليه في هذا الباب قبل الشروع في بيان أنواع الإعجاز ومجالات البحث فيه، ولذا قدمت للبحث بتمهيد يشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: مدلول الإعجاز في السنة النبوية

دارت أبحاث العلماء في دراسة أدلة إثبات النبوات عامة، وإثبات نبوة الرسول -خاصة- دارت حول مصطلحين رئيسيين هما: معجزات الأنبياء، ودلائل النبوة.

ويحسن تناول ما يتعلّق بالإعجاز في السنة النبوية من ذلك ليتبين مدلوله وتتضح صورته وأبعاده من خلال بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي -عند المحدثين- لمفردات (الإعجاز في السنة النبوية)، وما يتصل بها من الفروق ونحوه، مما يدرك به أهمية هذا النوع من العلم وذلك في المسائل الآتية:

أولاً: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً:

المعنى اللغوي: الإعجاز مصدر أعجز، يقال: أعجز الشيء وعَجَزَ عنه، بمعنى: فاته وضعف عنه.

مأخوذ العجز وهو الضعف، ونقيض الحزم، ومعنى الإعجاز: الفوت والسبق^(١٥)، وأصله لا يكون إلا من الضعف عن لحاق الشيء وإدراكه.

وأعجزه: صيّرَ عاجزاً^(١٦)، والمعجز: ما يكون خارجاً عن طوق المخلوق^(١٧).

المعنى الاصطلاحي: تتفق كتب التعاريف على أن الإعجاز في الكلام هو:

تأدية المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق^(١٨)، أي بحيث يضعف ما سواه عن أداء المعنى على الوجه الأكمل، وهذا وجه مطابقة هذا التعريف لأصل الكلمة ومعناها اللغوي.

فإذا حملنا هذا التعريف على السنة النبوية وجدناه ينطبق على ما صح نقله باللفظ من السنة القولية فحسب^(١٩)، فلا يدخل في ذلك الآيات الفعلية كنبع الماء من بين أصابعه.. الخ ويبقى هذا التعريف منطبقاً على الإعجاز البلاغي فقط.

وهناك تعريف آخر للإعجاز^(٢٠) هو:

«ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة^(٢١) ومزاوته على شدة الإنسان، واتصال عناية، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه»، وهو تعريف يلحظ فيه معنى: التحدي، وقد ساقه لبيان إعجاز القرآن ضمنه معنى التحدي والمعارضة في قوله: (محاولة.. مزاوته)، وليس في السنة ما أعلن النبي ﷺ التحدي به، وإن كان فيها ما ليس في مقدور البشر، مما أيد الله به نبيه ﷺ من الدلائل الباهرة.

وقد لحظ علماء العقيدة والبلاغة في تعريف الإعجاز الوصف الذي اختص به القرآن الكريم من التحدي وعجز المخاطبين عن المعارضة، لكن المحدثين استعملوا مصطلح «علامات النبوة»^(٢٢) أو «دلائل النبوة»^(٢٣)، للتعبير عن: الإعجاز في السنة النبوية.

وحيث ظهر هذا الاصطلاح وشاع وصنفت تحت شعاره المؤلفات في هذا العصر، فلا مناص من تحرير المراد به في مجال علم السنة المطهرة، ويظهر لي أن أقرب تعريف له هو ما يلي:

الإعجاز في السنة النبوية (اصطلاحاً): هو انفراد السنة النبوية بما يخرج عن طوق البشر من الكمالات المحسوسة والمعنوية، مما يثبت نبوته ﷺ.

فقولنا: «انفراد السنة» أي: سبقها واختصاصها.

ونعني: «بالسنة النبوية» مجموع ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة جملة لا تفصيلاً.

«ما يخرج عن طوق البشر» أي: ما تضعف عنه قدرتهم.

«الكلمات» أي: بلوغ التمام.

«المحسوسة» أي: المشاهد في حياته، ويدخل فيها الخوارق التي وقعت له من نبع الماء، وتكثير الطعام... إلخ، فإنها تخرج عن طوق البشر.

«المعنوية» فيدخل فيها: الكمال العلمي، والبلاغي والتشريعي والنفسي... إلخ، فيشمل الآيات الدالة على نبوته، وإن لم يلزم بها مخالفه، ولم يتحدهم بها، بل غايتها إثبات النبوة، وصدقه.

وعليه فلا فرق بين دلائل النبوة والإعجاز في السنة النبوية -والله أعلم-.

- ووجه مطابقة التعريف للمعنى اللغوي في تضمنه معنى السبق وما يكون خارجاً عن القدرة العادية، فتضعف عنه.

- ووجه مفارقه لتعريف الإعجاز في القرآن الكريم خلوه من قيدي التحدي والمعارضة^(٢٤).

واستعمال لفظ (الإعجاز)؛ لانتشاره وغلبته على الألسنة، حتى صار علماً على ما نحن بصده من دلائل إثبات النبوة، إلا أنه لم يكن من الألفاظ التي ورد بها القرآن الكريم والسنة المطهرة في الدلالة على ذلك^(٢٥)، وهي ما يتطلب الوقوف عليه في المطلب الآتي:

المطلب الثاني: المصطلحات المرادفة لمعنى الإعجاز

استعمل القرآن الكريم والسنة النبوية مصطلحات أخرى للدلالة على معنى الإعجاز وما يشتق منه وهي:

الآيات:

وهي في العربية الدلالة على الشيء والعلامة^(٢٦)، وسميت المعجزات بذلك؛ لأنها علامات وشواهد ودلالات على صدق النبي ﷺ واستعمال القرآن لفظ الآيات، والآية

للدلالة على معنى المعجزة كثير^(٢٧)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(٢٨).

البينة:

وهي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة^(٢٩)، وقد جاءت بهذا المعنى اثني عشر مرة^(٣٠) منها قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾^(٣١).

برهان:

وهو في اللغة: بيان للحجة^(٣٢).

وجاءت بالمعنى المذكور في آيتين^(٣٣)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(٣٤)، ﴿فَدَانِكَ بُرْهَانَانِ مِّن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾^(٣٥).

السلطان^(٣٦):

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾^(٣٧) أي: بحجة ظاهرة^(٣٨).

وأما لفظ: (دلائل النبوة) فقد اختص المحدثون باستعماله - كما مضى - وخصوصاً به الخوارق الحسية والعقلية (كالإخبار بالغيب) التي وردت في السنة.

وقد وقع تحاذب بين العلماء في تعريف كل من الدلائل والمعجزات والفرق بينهما يحسن إيضاحه في المطلب التالي:

المطلب الثالث: المعجزة والفرق بينها وبين دلائل النبوة

وقع جدال عريض قديماً وحديثاً حول تعريف المعجزات، ليس من مقاصد هذا البحث الخوض في تفاصيله، ولولا أن بعض كتب الإعجاز استندت على تعريف المعجزة، لما كان ثمة حاجة لتعريفها ليتبين الفرق بينها وبين دلائل النبوة.

فأما تعريف المعجزة المختصة بالأنبياء فهي:

أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة^(٣٩)، ونحوه ما في كتب التعاريف^(٤٠): «أمر خارق للعادة يدعو إلى الخير والسعادة مقرون بدعوة النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله».

والأول اختصار للثاني فإن (دعوى النبوة) هو التحدي، مع زيادة قيد الخلو من المعارضة. وكلا القيدين فيهما نظر؛ لأن ثمة معجزات كثيرة للنبي ﷺ لم تقتزن بالتحدي أصلاً، كما أن من دلائل النبوة ما لا يكون خارقاً لعادة الأنبياء، كما أن الخلو من المعارضة يقع لغير الأنبياء، كالسحرة ونحوهم^(٤١).

وعرفها بعض المعاصرين^(٤٢) بأنها:

«أمر يجريه الله على يد النبي يفوق طاقات البشر ويخرق قوانين الطبيعة وخواص المادة، يتحدى النبي به الناس فلا يقدر أحد على معارضته»^(٤٣)، ويرد عليه الاعتراض الوارد على التعريفين السابقين، وعرفها غيره^(٤٤) بأنها: «أمر يجريه الله على يد نبيه، أو علم يديه من قوله، لا يقدر أحد على الإتيان بمثله في زمانه، يكون دليلاً على نبوته لخروجه عن طاقة الخلق».

ويرد عليه بأن قيد (في زمانه) وإن صلح للمعجزة العلمية، فلا يصلح للمعجزة الكبرى وهي: القرآن؛ لأن مفهوم القيد أنه يمكن الإتيان بمثله، لكن بعد زمانه! وهذا منقوض بالقرآن، كما أن قوله: «أو علم يديه من قوله» يتضمن إدخال علامات النبوة في السنة في المعجزات؛ ولذلك خلا تعريفه من قيد التحدي وهو: وصف لازم لمعجزة القرآن الكريم.

ولم أقف على تعريف سالم من الاعتراض للمعجزة، ولكن الخصائص التي اتفق على تمييز المعجزات بها^(٤٥)، وما يلحظ من كونها أخص بمباحث إعجاز القرآن الكريم يجعل من السهل إدراك بعض الفروق بين دلائل النبوة والمعجزات وقد أشار إليها بعض العلماء وهي:

الفروق بين دلائل النبوة والمعجزات^(٤٦):

- ١- العلامات والدلائل أعم والمعجزات أخص.
- ٢- كل معجزة من شرطها التحدي بلا عكس.
- ٣- المعجزة دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء، لكن لا ينحصر دليل إثبات النبوة فيها بل يحصل بها وبغيرها.
- ٤- الدلائل منها الظاهر البين لكل أحد، ومنها الدقيق الذي يختص به من عرفه.
- ٥- المعجزات لا يمكن معارضتها مطلقاً^(٤٧) بخلاف الدلائل.

وعلى ذلك فالإعجاز في السنة النبوية كما مضى تعريفه لا يحتمل القيود التي اصطالحوا عليها في تعريف المعجزات فيكون مرادفًا لدلائل النبوة وعلامات النبوة.

وحيث ذكرت السنة النبوية في التعريف فإنه يحسن بيانها لغة واصطلاحًا في المطلب التالي.

المطلب الرابع: تعريف السنة النبوية لغة واصطلاحًا

فأما السنة لغة: فتطلق على عدة وجوه منها:

أ- الطريقة والسيرة محمودة كانت أو مذمومة^(٤٨): ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قِبَلِكُمْ سُنَنٌ﴾^(٤٩) ومنه إطلاقها في اللغة على الطريق القويم، والطريقة الحمودة المستقيمة، يقال: سنن الطريق أي نجهه ووجهه، وريح سنائن: إذا جاءت على طريقة واحدة لا تختلف، واستن الفرس: جرى في جهة واحدة^(٥٠).

ب- القوة، والسير الشديد، والأكل الشديد: ومنه قولهم: الحمض^(٥١) يسن الإبل أي: يقويها، ويشتد أكلها بعده^(٥٢).

ج- صقل الشيء وملاسته، والمسنون: المصقول الأملس، وسنه: أحده وصقله، ومنه سنن المنطق: حسنه، فكأنه صقله وزينه، وسنَّ الإبل، إذا أحسن رعايتها والقيام عليها فكأنه صقلها^(٥٣).

ابتداء الطريق والأمر: يقال: لكل من ابتدأ أمرًا عمل به قوم بعده، هو الذي سنّه، ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «من سنَّ سنة حسنة».. الحديث^(٥٤).

وأما السنة في اصطلاح المحدثين فهي:

كل ما أثر عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها^(٥٥). وهي مرادفة للحديث النبوي عندهم^(٥٦).

ولهذا المعنى الاصطلاحي ارتباط وثيق بالوجوه السابقة التي وردت عليها لفظة السنة في اللغة، فهي الطريقة المحمودة المستقيمة التي جاءت بالمنهج القويم الذي لا يتناقض ولا يختلف ولا يميل عن القصد، وهي الطريقة الحسنة لا عوج فيها ولا أمثا^(٥٧) فكأنها مصقولة يشع ضوءها إذا هي (بيضاء نقية)، كما قال ﷺ: «لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها»^(٥٨)، وهي الطريقة المتينة القوية^(٥٩) التي ابتدأها النبي ﷺ وسنها للأمة.

المطلب الخامس: أهمية دراسة الإعجاز في السنة النبوية

لما كانت السنة -الثابتة- وحيًا أوحاه الله تعالى إلى نبيه -صلى الله عليه وسلم-، تقوم به الحجة كما تقوم بالقرآن الكريم على جميع الثقلين إلى قيام الساعة، وأنها تقدم للبشر -على اختلاف مداركهم وثقافتهم وتباعده أزمانهم- دلائل الإيمان وبراهينه كما يشير إلى ذلك وصفه -صلى الله عليه وسلم- لما أوتيته من الوحي بأنه: «ما مثله آمن عليه البشر»، وقد أوتي القرآن «ومثله معه» أي: السنة، كما مضى نص الحديث في ذلك وتفسيره^(٦٠).

ولما كانت بعثته -صلى الله عليه وسلم- بالقرآن والسنة موجهة للعالمين كافة إلى قيام الساعة... ولما كانت سنته وطريقته وهديه ﷺ وهي النهج الأقوم الواضح، المتين الذي لا تستقيم أحوال الناس إلا باتباعه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٦١).

لما كان ذلك كذلك وجب أن يجد كل جيل من الناس في السنة من الحجج والدلائل ما يقودهم إلى الإيمان أو يزيدهم يقينًا بكونها الحق الذي لا يخرج إلا من مشكاة النبوة والوحي الإلهي، ولا يتعارض هذا -البتة- مع كمال القرآن الكريم وكفايته في إثبات النبوة.

ومقتضى ذلك أن تجد البشرية على اختلاف مراحل نضجها الفكري والعلمي في كل وقت وحين ما ينبغي أن يؤمن على مثله البشر وذلك حين تشهد في كل وقت -بحسب ما يتهيأ لها إدراكه وما يمكنها فهمه- انفراد السنة بما يخرج عن طوق البشر من الأفكار والمعاني والسنن والتشريعات مما يتطامن معه الفكر الإنساني ولا يسعه سوى الإذعان والإيمان.

ويتجدد اكتشاف ذلك في كل عصر ولكل جيل بما يتناسب مع مداركهم ومستوى تفكيرهم وسر ذلك الإعجاز في السنة - كما سبق تعريفه-^(٦٢) أن فيها -باعتبارها وحيًا من الله- من قوة المعاني والدلالات -بحسب ما يتهيأ للناس من وسائل الفهم- دليلاً من أقوى الأدلة برهاناً على صدق النبي ﷺ فيما أخبر، وآية على إحكام الشريعة التي بعث بها وصلاحيتها للناس كافة، وأنها الدين الحق الذي يتعين اتباعه.

ولذا فإن من نصرته ﷺ والإبانة عن الحق، وبيان دينه أن ينفر من يستطيع -من أهل السنة العالمين بصحيحها وسقيمها وفقهها ولغتها- لدراسة وبيان وجوه الإعجاز في السنة النبوية؛ لغتها وبلاغتها، أخبارها وتشريعاتها والكشف عما خفي ظهوره من فقهها؛ أقوالاً وأفعالاً وتقريرات، وما كان عليه النبي ﷺ من أحوال وهدى وسمت، كل ذلك بحسب ما تمدنا به وسائل الفهم العقلية والعلمية في هذا العصر شرط ألا يتعسف الألفاظ وألا تلوى أعناق النصوص لفهم لا يستند إلى حجة.

ولن تكون مثل تلك الدراسات بدعاً من العلم وقد سبقنا أسلافنا إلى بسط القول في فنون إعجاز القرآن الكريم وأسرار بلاغة السنة النبوية وأحكامها التشريعية^(٦٣)، غير أن تلك الكتب قد لا تفي بحاجة هذا الزمان في بعض جوانب الإعجاز، كالإعجاز العلمي ولا يزال المجال رحباً أيضاً في كشف جواهر المكنون من إعجاز السنة التشريعية والبلاغي والغيبى أيضاً.

ومما يؤكد أهمية دراسة الإعجاز في السنة النبوية الأمور التالية:

الأول: ما تتعرض له السنة اليوم من تيارات التشكيك تارة في ثبوتها، وتارة في معاني متونها مما يزرع ثقة العامة بها خاصة مع انتشار الكلمة، وقالة السوء والجهل -ينطق بها

كل رويضة-^(٦٤) عبر الصحف أو المجلات أو الإنترنت ونحوها من وسائل الإعلام المرئية التي يتمكن من خلالها كل من هبَّ ودبَّ ليقول ما شاء متى شاء، فخاض في مجال السنة كثير من المختصين بالعلم بها، وهذا يحتم نشر الدراسات الأصيلة في الإعجاز في السنة الثابتة لتأكيد ثبوتها والذب عنها. والإعجاز العلمي -متى تحقق وثبت- يقدم برهاناً جديداً يدفع الشبهات حول بعض الأحاديث التي قد يشكل فهمها، أو يشكك في متونها^(٦٥).

الثاني: ما يحققه من فتح العقول والقلوب التي غشيتها الغفلة لإدراك حكم التشريع في السنة النبوية.

الثالث: إقامة الحججة على غير المسلمين بإظهار وجوه الإعجاز المختلفة في السنة، وذلك بالإبانة عن وجوه الحكمة منها، وتحقيقها لصالح العباد في دينهم ومعاشهم وآخرتهم.

الرابع: مدارس وجوه الإعجاز ونشرها تدعم صلة ناشئة الأمة بدينها ونبينا، وثقتها، وطمأنينتها بالإيمان واعتزازها بالانتماء للإسلام، واليقين بذلك من أسباب النصر على الأعداء.

الخامس: ما يشتمل عليه من الرد الضمني على منكري السنة كلياً أو جزئياً

السادس: تقوية الدعوة إلى الاتباع والتأسي بالنبي ﷺ، وإحياء سننه القولية والعملية التي انصرف عنها الناس بحجة أنها مما لا يعاقب تاركه، وذلك بالإبانة عن وجوه الحكمة منها، وتحقيقها لصالح العباد في دينهم ومعاشهم وآخرتهم.

السابع: إظهار جوانب القوة الكامنة في نصوص السنة النبوية، لتلبية حاجات البشر المستجدة، ومواجهة النوازل المستحدثة وأكثر ما يظهر في الإعجاز البلاغي والغبي والتشريعي

ولما كانت وجوه الإعجاز هي ذاتها علامات ودلائل النبوة للرسول ﷺ المبعوث للناس كافة، تنوعت بما يتناسب مع تنوع مجالات الثقافة في الفكر الإنساني، فموضوع الإعجاز النبوي هو: السنة كلها من جوانبها المختلفة: التشريع والآداب واللغة والأخبار، يظهر منها

في كل مجال ما شاء الله ظهوره للناس، برهاناً وآية لتصديق نبيه ﷺ وتلك الجوانب هي أهم مجالات البحث في الإعجاز (النبوي)، التي ينهل من معينها الفكر والاجتهاد، وبالنظر لأبزر تلك المجالات يمكن الجزم بوجود أربعة أنواع من الإعجاز في السنة المطهرة هي:

الإعجاز التشريعي، والغبي، والبلاغي -على خلاف سيأتي- والعلمي -على خلاف أيضاً- وذكرهما لوجود شواهد الواقع في الدراسات العلمية عليهما، وسأتناول كل نوع منها مع ضوابطه التي تميزه ويعرّف بها، وشواهد التطبيقية في المباحث التالية:

المبحث الأول: الإعجاز التشريعي في السنة النبوية: مدلوله، وضوابطه وتطبيقاته

لما كانت السنة الشريفة بيانا للقرآن الكريم بنص قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٦٦) فإن الشريعة التي نزل بها القرآن الكريم مجملة، أبانت السنة عن تفاصيلها ودقائقها عملياً أبلغ بيان، فكان قوله ﷺ وفعله وتقريره هو ما شرعه الله لخلقها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾^(٦٧)، ثم انفردت السنة بالتشريع الزائد عما ورد ذكره في القرآن الكريم، مما له قوة القرآن الكريم في التشريع والحجية بأمر الله تبارك وتعالى حين قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٦٨) فأما استقلال السنة في الحجية فصريح قوله تعالى: ﴿آتَاكُمُ﴾، وقوله: ﴿وَمَا نَهَاكُمْ﴾ مسندة إلى الرسول ﷺ، وأما قوة السنة في الحجية فصريح قوله تعالى: ﴿فَخُذُوهُ﴾، وقوله: ﴿فَانتَهُوا﴾ وهذا يكسب جانب التشريع الذي استقلت به السنة نفس خصائص التشريع القرآني من القوة والإعجاز.

فيذا علم أن التشريع يقصد به سن الأحكام المنظمة لحياة الناس التزاماً واجتناباً^(٦٩)، فيدخل فيها ما سنّ لهم من قواعد وأصول وفرعيات في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في مختلف شئونها^(٧٠).

إذا علم ذلك فإن الإعجاز التشريعي في السنة المطهرة هو ما تضمنته أحكامها وآدابها وأمرها ونواهيها من الكمال الذي يعجز البشر عن الوصول لمثله من كل وجه، إذ استقلت بذلك عقولهم وإن أمكن التواصل لبعضه.

وأعني بالكمال: الكمال في خصائص التشريع وميزاته، بحيث لا يفوقه تشريع ولا يدانيه من كل وجه.

المطلب الأول: ضوابط الإعجاز التشريعي في السنة النبوية

إن ضوابط ذلك الكمال الذي يخرج عن طوق البشر ويعرف به الإعجاز التشريعي في السنة هو ما يمكن أن نسميه: سمات أو ضوابط الإعجاز التشريعي في السنة، وهي كالتالي:

١- كمال الأهداف والمقاصد:

ومحل بيانها تفصيلاً كتب أصول الفقه^(٧١)، وأما محل إعجازها فهو:

أ- تحقيقها لمصالح الفرد العاجلة والآجلة، ومصالح الجماعة العاجلة والآجلة، ودفع الضرر العاجل والآجل أيضاً عن الفرد والجماعة.

(وهذه سمة ملازمة لكل أحكام الشرع ما من حكم إلا وقد قرر لرعاية مصلحة ودرء مفسدة)^(٧٢).

ب- تحقيقها لمستويات المقاصد الثلاثة: (الضرورات^(٧٣)، والحاجيات^(٧٤)، والتحسينات^(٧٥)) أيضاً مما يتعلق بالفرد والجماعة.

وجرت الشريعة على مراعاة هذه المستويات الثلاث من المصالح فيما يتعلق بالفرد، وفيما يتعلق بالجماعة وذلك في جميع أحكامها: في العقيدة والعبادات والمعاملات والعادات والجنايات^(٧٦). ومراعاة تلك المقاصد ومكملاتها يجري على ترتيب محكم بحيث لا يتعارض مراعاة أمر حاجي مع ضروري.

٢- الإحكام والإتقان:

ومظاهر إحكام التشريع النبوي تبدو جلية في:

أ- موافقة لطباع البشر وملائمته لخصائص النفس البشرية.

ب- الاعتدال والتوسط في التكليف^(٧٧).

ج- صلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان.

د- مرونته في مراعاة الأحوال المختلفة للفرد والجماعة.

هـ- الاتساق والتكامل بين جزئيات التشريع وأوامره ونواهيه دون تعارض أو تناقض بينها^(٧٨). وستأتي الأمثلة على ذلك من أحاديث الطهارة -حسب الإمكان- إن شاء الله تعالى في محلها من البحث.

شمول التشريع لجوانب الحياة الإنسانية كلها ووفاءه بمطالب الحياة كلها^(٧٩):

ويظهر ذلك في تناول التشريع إصلاح القلب، وتهذيب النفس، وحماية الفكر وضبطه، وضبط السلوك، وإصلاح البدن.

ومن حيث الجماعة: تناول التشريع أحوال العلاقات بين الأفراد في الأسرة والمجتمع، كما تناول أحوال المجتمعات في السلم والحرب، وفي الاتفاق والاختلاف.

ومن حيث الكون: تناول علاقة كل من الفرد والمجتمع بما حوله من المخلوقات والكائنات وضبط موازين استغلاله لما سخر له من الكائنات والمخلوقات.

وسر إعجاز ذلك الشمول أنه استوعب الزمن واستوعب الحياة بكل جوانبها واستوعب كيان الإنسان كله فردًا وجماعة. كل ذلك في قواعد كلية ثابتة مستقرة تتفرع منها جزئيات محكمة تفي بجميع مطالب الحياة في تغييرها وتبدلها مهما تجددت مطالبها وتطورت أحوالها، وتسد حاجة الفرد والجماعة وترتقي بهم إلى الكمال في كل عصر وحال؛ لأنها لم تكن موجهة لقوم دون قوم ولا لعصر دون عصر، بل توجه التكليف بها إلى البشرية جمعاء حتى قيام الساعة^(٨٠).

والعقل الإنساني مهما بلغ من النضج والكمال لا يمكن أن يحيط بكل جوانب الأحكام والشمول والكمال في هذا التشريع فضلًا عن أن يتوصل إلى نظام تشريعي متكامل^(٨١) بهذه المواصفات التي شهد التاريخ تطبيقاتها الباهرة والمذهلة في المجتمع الإسلامي الأول بقيادة النبي ﷺ.

ذلك المجتمع الذي كان شاهداً عملياً ناطقاً على إعجاز التشريع في القرآن والسنة المطهرة، وسر ذلك الإعجاز أن الشريعة هي ثمرة الوحي المتلو وغير المتلو معصومة من الخطأ محفوظة إلى قيام الساعة^(٨٢).

المطلب الثاني: نماذج من تطبيقات الإعجاز التشريعي في أحاديث الطهارة

في ضوء ما سبق بيانه من سمات الإعجاز التشريعي في السنة المطهرة يمكن بسهولة عرض أحاديث الطهارة على تلك السمات؛ لينكشف بوضوح مدى تحقق الإعجاز التشريعي بكل وجوهه وضوابطه في هذا الجانب من التشريع في السنة المطهرة.

ومراعاة للاختصار سأذكر تحت كل سمة من السمات التي يُعرف بها الإعجاز التشريعي والتي ذكرتها سابقاً^(٨٣) حديثاً أو أكثر من أحاديث الطهارة التي تظهر فيها تلك السمة جلية، وارتبها في المطالب التالية حسب ترتيبها هناك:

المطلب الأول: كمال الأهداف والمقاصد^(٨٤):

فإذا نظرت في أبواب الطهارة إجمالاً تجد شواهد تحقق ذلك في الأمور التالية:

الأول: التشريع الخاص بالفرد:

أ- جاء وجوب الاستنجاء من الغائط والاستبراء من البول محققاً لضرورة إبعاد النجاسات التي هي مصدر هلاك محقق للإنسان لو بقيت عالقة بجسمه.

ففي حديث سلمان عند مسلم مرفوعاً^(٨٥): «لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار».

وفي حديث ابن عباس في الصحيحين^(٨٦) مرفوعاً: «يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول». ولا يعذب إلا على ترك واجب.

ب- وجاءت الرخصة في بول الرضيع بالنضح لحديث أم قيس بنت محصن أنها جاءت بابتها رضيع، فبال في حجر النبي ﷺ فدعا بماء فرشه^(٨٧)، كما جاء الأمر بالتيمم عند فقد الماء رخصة محققاً لحاجة الفرد ورفعاً للحرج والمشقة عنه عند عدم الماء أو عدم

القدرة على استعماله ففي حديث ابن عباس مرفوعاً: «إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيده الأرض ضربة واحدة»^(٨٨)، ونحوه المسح على الخفين^(٨٩).

ج- وجاءت مشروعية الوضوء عند كل صلاة من غير حدث محافظة على كمال الطهارة، وهو من التحسينات والحديث فيه في البخاري^(٩٠) عن أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة قلت: كيف تصنعون؟ قال: «يجزئ أحدنا الوضوء ما لم يحدث»، وكذلك التيمن والسواك وسنن الفطرة كلها مروءة ومحاسن شيم وهي من التحسينات.

فتأمل كيف حققت هذه التشريعات مصلحة الفرد العاجلة ودفع المفسدة والحرص عنه، وأما تحقيقهم للمصلحة الآجلة فظاهر في قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم^(٩١) عن أبي هريرة مرفوعاً: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا: بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره...» الحديث. وكذلك دفع المضرة عنه في الآجلة ظاهر في التحذير المشار إليه في حديث ابن عباس الماضي في فقرة (أ).

الثاني: التشريع الخاص بالجماعة:

وكذلك ما يتعلق بالجماعة من أحكام الطهارة، جاءت محققة للمصلحة العامة ودفع الضرر عن العامة في العاجل والآجل، ومحققة للمصالح الثلاث: الضرورات والحاجيات والتحسينات.

- فمن الأول (الضرورات):

النهي عن البول في الماء الدائم، والنهي عن اغتسال الجنب في الماء الدائم، وفيهما حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه»^(٩٢) و«لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب»^(٩٣) وهو تشريع موجه لحفظ مصلحة الفرد ومصلحة غيره ودفع المضرة عنه ودفعها عن غيره أيضاً.

- ومن الثاني (الحاجيات):

الأمر بصب الماء على بول الأعرابي في المسجد وقوله صلى الله عليه وسلم له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القدر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن»

في الحديث الذي أخرجه الشيخان^(٩٤) من حديث أنس. فتطهير المساجد لحاجة الجماعة للصلاة فيها.

- ومن الثالث (التحسينات):

الأمر بالغسل والطيب والسواك يوم الجمعة لمن حضر الجمعة خاصة، وفيه حديث عمر مرفوعاً: «إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل»^(٩٥)، وحديث أبي سعيد الخدري: «غسل يوم الجمعة على كل محتلم وسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه»^(٩٦).

المطلب الثاني: نماذج الإعجاز من حيث الأحكام والإتقان:

فأما الإتقان في تشريع الطهارة من حيث موافقته لطباع البشر فلا مربة في أن النجاسات مستكرهة ومستقدرة طبعاً، فجاءت أحاديث الطهارة تنتظم التنزه عن البول والغائط والدم والمني والمذي ورائحة الفم والعرق المستقدرة، في البدن والثوب والبقعة وغالبها ورد ذكر تشريعه في الأحاديث السابقة.

- وأما إحكامه من حيث التوسط في التكاليف فظاهر في التفريق بين بول الكبير فيغسل ويحترز منه أشد الإحتراز، وبول الطفل الرضيع فيكتفى بنضحه ورشه^(٩٧).

- وأما مرونته في مراعاة الأحوال المختلفة فلا أدل عليها من تشريع التيمم والمسح على الخفين في البرد والسفر، ومسح العمامة^(٩٨)، وجواز أن يكون الوضوء مرة مرة، أو مرتين مرتين، وثلاثاً ثلاثاً^(٩٩).

- وأما صلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان فوسيلة الطهارة الماء والصعيد، ولا يخلو مكان منهما أو أحدهما، والصعيد ما صعد على وجه الأرض^(١٠٠) تراباً كان أو سبخة ملح أو جليداً كما هو الراجح^(١٠١).

- وأما الاتساق والتكامل بين جزئيات التشريع وأوامره ونواهيه؛ فغاية ما يكون التكامل حيث شرع الغسل للأعضاء المكشوفة في الوضوء، والمسح للرأس والأذنين، وشرعت الطهارة اليومية والأسبوعية للصلوات ومن الجنابة، وشرعت طهارة الأعضاء الباطنة بالأمر

بخصال الفطرة والاستنجاء، والظاهرة بالوضوء والغسل والمسح، وانتظمت طهارة البدن والثوب والمكان في نظام متكامل يحقق مصلحة الفرد والجماعة.

المطلب الثالث: نماذج الإعجاز في شمول التشريع:

وهو ظاهر في أحاديث الطهارة للأسباب الآتية:

- ١- لأنها أحاطت بطهارة البدن جميعه المكشوف منه عادة، والمستور، ما يحتاج إلى غسل وما يحتاج إلى مسح في الأوقات التي يتطلب البدن تلك الطهارة، إما لأجل حدث أو نجس أو كمال مروءة. وما تحصل طهارته بإزالة القدر وموجبه (كخصال الفطرة)^(١٠٢). وما تحصل طهارته بإفاضة الماء عليه وما لا تحصل إلا بتخليله أو بمسحه فحسب.
- ٢- وأحاطت بطهارة الثوب، بغسل الثوب من الدم والبول وفركه من المني^(١٠٣).
- ٣- وبطهارة البقعة: يصب الماء على الأماكن المتنجسة كما مضى في حديث بول الأعرابي في المسجد.

المبحث الثاني: الإعجاز الغيبي في السنة النبوية: مدلوله وضوابطه وتطبيقاته

فأما الإعجاز الغيبي فهو ما تضمنته السنة من الإخبار عن العوالم الغيبية (كالملائكة والجن)، أو الغيوب الماضية أو المستقبلية، مما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي أو بتمكين من الله. فقد أخبر النبي ﷺ عن كثير مما وقع للأمم السابقة، وما سيقع لهذه الأمة في المستقبل من حوادث، وما سيحدث في الكون من تغيرات، كأشراط الساعة ونحوها، كما أخبر عن شيء مما يختص بالعوالم المغيبة عن البشر أصلاً، كالملائكة والجن والشياطين، ومما يخرج عن طوق البشر في العادة، ولا يتهيأ مثله إلا بالوحي والتمكين من الله، وفي هذا الإعجاز أبلغ دلالة على نبوته ﷺ.

والإعجاز ظاهر فيما أخبر به من الوقائع في الأمم السابقة مما لم يدون في كتاب، أو دون في بعض كتب الأمم السابقة، لكن هيهات أن يكون قد علمه منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَا تَرْتَابَ الْمُتَّبِلُونَ﴾^(١٠٤).

وأما الإعجاز فيما أخبر من الوقائع والحوادث المستقبلية في الأمة، بل والكون فهو دليل مستمر على نبوته ﷺ ينكشف حيناً بعد حين، ولا يزال في كل عصر للنبي ﷺ نبوة تتحقق، وحجة قائمة بالإعجاز الغيبي ولن تنقضي -دلائل النبوة- بهذا النوع من الإعجاز حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، إذا قد أخبر النبي ﷺ بأمر مما سيقع في الآخرة من الحساب، وأحوال الجنة وأهلها، وأحوال النار وأهلها، مما يحتمل التصنيف المستقل.

وأما الإعجاز فيما أخبر من العوالم الغيبية الموجودة لكن ليس في طوق البشر عادة الاتصال بها أو معرفة أحوالها، فكثير: كالأخبار عن الملائكة وأوصافها، وأحوال الجن والشياطين، وما يقع في دار البرزخ للمؤمنين الطائعين، والعاصين والكفار.

وقد صنفت كتب مستقلة في معجزات النبي ﷺ الكثير منها يندرج تحت الإعجاز الغيبي^(١٠٥).

المطلب الأول: ضوابط الإعجاز الغيبي في السنة النبوية، وأنواعه

وأما ضابطه الذي يعرف به فهو:

أن يكون الخبر به ثابتاً، ولو ورد ذكر ذلك الأمر الغيبي في القرآن الكريم كقصة الخضر مثلاً؛ فإن الخبر في السنة يأتي بتفصيل وبيان لما أجمل في القرآن مما يندرج تحت الإعجاز الغيبي في السنة.

وأما أنواعه فهي:

- أن يكون الخبر فيما يتعلق بالغيب الماضي: كالأنبياء، والأمم السابقة.
- أن يكون الخبر فيما يتعلق بالمستقبل: كالحوادث والوقائع قبل وقوعها ولو في زمنه ﷺ.
- أن يكون الخبر متعلقاً بالغيب الحاضر: كالخبر عما لا يقع في مجال إدراك حواس البشر عادة، كالملائكة والجن، وأحوال البرزخ والقبور ونحو ذلك.

- أن يكون خبراً عما يقع في الدار الآخرة من الحساب والنعيم والعذاب، ويطلق عليها دلائل باعتبار ثبوتها الدال على تحتم وقوعها حقاً - والله أعلم -.

المطلب الثاني: نماذج من تطبيقات الإعجاز الغيبي في أحاديث الطهارة

ولهذا النوع من الإعجاز شواهد عدة في أحاديث الطهارة سواء فيما يتعلق بالإخبار عن الغيب الماضي أو المستقبل القريب أو البعيد أو الآخرة، أو الغيب الحاضر مما لا يقع تحت دائرة المدركات الحسية للبشر.

وأذكر في المطالب الآتية نموذجاً واحداً فقط لكل وجه من أوجه الإعجاز الغيبي الثلاثة، وأحيل على غيره في الحاشية طالباً للاختصار.

المطلب الأول: في الغيب المتعلق بالماضي:

وفيه حديث عبدالرحمن بن حسنه^(١٠٦): «انطلقت أنا وعمرو بن العاص إلى النبي ﷺ فخرج ومعه درقة^(١٠٧) ثم استتر بها ثم بال، فقلنا: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة فسمع ذلك فقال: «ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل؟ كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول منهم فنهاهم فعذب في قبره»^(١٠٨).

والشاهد فيه الإخبار عن حال بني إسرائيل وتبديلهم لأحكام الله وهو واقع مما لا سبيل له لمعرفته إلا بالوحي، وكذلك قوله: «عذب في قبره» فإن هذا خير عن ماض.

فإن قيل: أهل الكتاب كانوا مجاورين للنبي ﷺ بالمدينة، فيقال: إن خبر التعذيب في القبر مما لا سبيل لمعرفته إلا بوحي.

المطلب الثاني: الغيب المتعلق بالحاضر:

وهو ما يقع الخبر فيه عن العوالم غير المرئية، ولا يقع العلم بها في طوق البشر كالخبر عن الملائكة والشياطين والجن.

ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستتر ثلاث مرات فإن الشيطان يبیت على خياشيمه»^(١٠٩).

وهو خبر على حال من أحوال الشياطين وهي خلق غير مرئي للناس قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَأَيْكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(١١٠).

قال القاضي عياض^(١١١) في تفسير قوله: (فإن الشيطان يبیت)، «يحتمل أن يكون على حقيقته فإن الأنف أحد منافذ الجسم التي يتوصل إلى القلب منها، لا سيما وليس من منافذ الجسم ما ليس عليه غلق سواه وسوى الأذنين، وفي الحديث: «إن الشيطان لا يفتح غلقاً»^(١١٢) وجاء في التناوب: (الأمر بكظمه من أجل دخول الشيطان حيثئذ في الفم)^(١١٣).

قال: «أو يكون على طريق الاستعارة فإن ما ينعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم من القذارة وضد النظافة التي توافق الشيطان وهي منه» أ.هـ.

والذي يظهر أنه لا مانع من حمله على ظاهره -وهو الأصل في الكلام- ويكون المذكور من القذارة هي السبب في مبيته على الخيشوم، ويؤيد حمله على الحقيقة الحديثان المذكوران فإنهما صريحان في إرادة الحقيقة لا المجاز، فإذا جاز دخوله الفم وأنه لا يفتح باباً مغلقاً جاز أن يبیت على الخيشوم -والله أعلم-.

وكلك حمله ابن حجر في الفتح^(١١٤) على الحقيقة فقال: «إن ظاهر الحديث أن هذا يقع لكل نائم ويحتمل أن يكون مخصوصاً بمن لم يحترس من الشيطان بشيء من الذكر»^(١١٥).

ويدخل فيه إخباره صلى الله عليه وسلم عن الحياة البرزخية لبعض الأموات في زمنه كما في حديث ابن عباس في صاحبي القبرين اللذين يعذبان^(١١٦).

المطلب الثالث: في الغيب المستقبل

وسواء في ذلك الإخبار بالغيوب القريبة أو البعيدة ويدخل في ذلك الإخبار عن أحوال يوم القيامة والجنة والنار.

- فأما الإخبار بالغيوب القريبة فمثاله: حديث رويغ بن ثابت^(١١٧) ولفظه: «يا رويغ لعل الحياة ستطول بك بعدي فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترأ أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً ﷺ منه بريء»، وقد عاش رويغ وطالت به الحياة حيث مات سنة ٥٦هـ. كما في ترجمته.

- وإما الإخبار بالغيوب البعيدة فلعل منه قوله ﷺ: «أنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»^(١١٨)، وقد وقع ذلك بعد أندراس الكثير من سنن الدعاء والطهارة في الأمة.

- وأما الإخبار بأحوال الآخرة فمنه قوله ﷺ: «ويل للأعقاب من النار»^(١١٩).

المبحث الثالث: الإعجاز البلاغي في السنة النبوية: مدلوله وضوابطه وتطبيقاته

وهو جانب نازع فيه بعض العلماء^(١٢٠)، والمقصود بالإعجاز البلاغي: انفراد السنة النبوية بكمال البلاغة الإنسانية على وجه العموم، وفي إطار المعهود عند البلغاء من البشر.

فهي في عمومها في الدرجة العليا من البلاغة الإنسانية، كما أقسم على ذلك الجاحظ في كتابه: (البيان)^(١٢١).

وذلك أن: (ألفاظ النبوة يغمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بمحافظته، فهي وإن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله)^(١٢٢).

وأما المعاني فهي: (إلهام النبوة ونتاج الحكمة وغاية العقل، مما يخرج به الكلام، وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد)^(١٢٣).

وإنما ذهب من ذهب إلى نفي الإعجاز البلاغي في السنة المطهرة للأسباب التالية^(١٢٤):

١- الفرق الشاسع بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم في طريقة البيان العربي؛ لأن الأسلوب القرآني مبتكر جديد في البيان العربي، بخلاف الأسلوب النبوي فهو جار على المعتاد من أساليب العرب.

٢- أن أسلوب الحديث يشتهه بأساليب البلغاء المعهودة؛ ولذا فقد توضع الأحاديث كذبا على لسان رسول الله ﷺ من حيث لفظها ومعناها، فيكاد التحقق من وضعها ينحصر في البحث عن السند. وأما أسلوب القرآن الكريم فلا يشتهه بشيء من كلام العرب في طرائقهم ومناهج خطابهم.

٣- اختلاف القائل في كل منهما، فالقرآن الكريم والسنة المطهرة صادران عن مصدرين مختلفين، وإنهما يخرجان من مشكاة الوحي، وفي كل منهما ما يشف عن ذاتية وشخصية مصدره من الوجهة البيانية، فالحديث النبوي يشف عن الشخصية البشرية التي يعترتها الضعف، ويظهر هذا في الألفاظ - كما في أحاديث الأدعية التي يظهر فيها النبي ﷺ افتقاره لربه- والموضوعات والمعاني التي تطرقها السنة، وأما القرآن الكريم فتتجلى من خلال أسلوبه عظمة المتكلم به وسلطانه وقهره.

٤- إن عدم التفريق بين أسلوب القرآن والسنة في البلاغة، ينشأ منه توهم الأجانب أن بعض القرآن من تأليف النبي ﷺ.

ولا شك في أن هذه الفروق قائمة بينهما؛ لأن القرآن الكريم فوق أنه وحي بلفظه ومعناه^(١٢٥)، فإنه موضوع للتحدي في الإتيان بمثله، وأما السنة فهي وحي بمعناها لا بلفظها^(١٢٦)، ومع ذلك فهي غير متحد بها.

وقد مضى أن الإعجاز في السنة غير مشروط بالتحدي لكنه انفرادها بالكمال الإنساني في جميع الجوانب ومنها الجانب البلاغي، فالقول بوجود الإعجاز البلاغي في السنة لا يلزم منه القول بالتحدي بها ولا تسويتها بالأسلوب القرآني.

مع ملاحظة أن نقاد الحديث الذين طالت خبرتهم وممارستهم للحديث النبوي يميزون بين كلامه ﷺ وكلام غيره، ولو كان في غاية البلاغة بمجرد سماعه فيحكمون بوضعه ولو كان الإسناد صحيحًا، ويعبرون عن مثل ذلك بقولهم: لا يشبهه كلام الأنبياء أو ليس عليه نور النبوة^(١٢٧).

وإنما يرجع سبب وقوع الاشتباه -المشار إليه- في السبب الثاني -في بعض الأحاديث التي يلجأ في الحكم بوضعها إلى الإسناد فقط دون النظر للفظ الحديث- يرجع السبب إلى الرواية بالمعنى؛ فإن كثيرًا من الأحاديث تروى بالمعنى أو تحكي فيها وقائع فعلية، فلا يظهر فيها أثر البلاغة النبوية، فمتى كان الحديث مرويًا بالمعنى خرج عن موضوع الإعجاز البلاغي للسنة.

ولذلك يشير العلامة ابن حجر بقوله^(١٢٨): «وإنما يسلم ذلك فيما لم تتصرف الرواة في ألفاظه»، ويؤكد ذلك قوله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»^(١٢٩) وهي: القرآن والكلام قليل اللفظ كثير المعاني^(١٣٠).

ولا خلاف في أنه ﷺ أفصح العرب^(١٣١)، وقد كان يخاطب كل قوم من العرب بلحنهم ولهجتهم^(١٣٢)، «ثم لا يكون إلا أفصحهم خطأً وأسدهم لفظاً وأبينهم عبارة» كما قال الرافعي -رحمه الله-: «ويعلم ذلك أهل اللغة والبلاغة (قطعاً وضرورة) على حد وصفه.

وإذا أثبت أهل اللغة والبلاغة إعجازاً بلاغيًا لكلامه ﷺ فالمعمول عليه قولهم؛ إذ هم أعلم بالحد الأقصى الذي تبلغه فصاحة البلاغاء من البشر، وفي هذا يقول الرافعي عقب دراسته لبلاغة جملة لا بأس بها من كلامه ﷺ:

«اعلم أن نسق البلاغة النبوية إنما هو في أكثر الحد الإنساني من ذلك الإعجاز، يعلو كلام الناس من جهة وينزل عن القرآن من جهته الأخرى، فلا مطمع لأبلغ الناس فيما وراءه ولا معجزة^(١٣٣) عليه فيما دونه، وهو عنده أبدأً بين القدرة على بعض والعجز عن بعضه»^(١٣٤) وهو وصف دقيق للإعجاز البلاغي في السنة.

المطلب الأول: ضوابط الإعجاز البلاغي في السنة النبوية

وخلاصة الأمر في شأن الإعجاز البلاغي للسنة أنه ثابت بالضوابط التالية:

١- أنه ثابت للنبي ﷺ في جوامع الكلم، وفيما لم تتصرف الرواة في ألفاظه، أي: فيما روي بلفظه، أما ما روي بالمعنى فليس موضوعاً للإعجاز البلاغي في السنة فضلاً عما لا يصح ثبوته. وضابط المروي باللفظ مالم تختلف الرواة في لفظه مع ثبوته، وأما المروي بالمعنى فهو ما اختلف الرواة في ألفاظه مع ثبوت الروايات.

٢- أنه لا يتحقق إلا باجتماع الكلام وقلة ألفاظه، مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكلف مع إبانة المعنى واستغراق أجزائه^(١٣٥).

٣- انفراده بإحداث أوضاع تركيبية ومفردة في اللغة ذهبت أمثالاً. ولم يعرف لأحد من بلغاء العرب وضع بعينه يكون هو انفراد به وأحدثه في اللغة^(١٣٦).

٤- سلامة جهات الصنعة الكلامية من فصاحة اللغة وقوة البيان وتمام الحكمة في المعنى^(١٣٧).

وفق الضوابط السابقة وجد علماء اللغة والبلاغة في السنة الشريفة من الإعجاز ما لا ينقضي منه العجب مما حدا بالجاحظ أن يقول^(١٣٨): «ولعل من لم يتسع في العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن أننا تكلفنا له من الامتداح والتشريف ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ولا يبلغه قدره، وكلا والذي حرم التزويد عند العلماء، وقبح التكلف عند الحكماء، وبهرج الكذابين عند الفقهاء، لا يظن هذا إلا من ضل سعيه» وما دفع الرافعي إلى القول^(١٣٩): «وإنما الشأن الذي انفرد به ﷺ أنه منزه عن الخطأ الذي يعتري الفصحاء من جهتها [أي البلاغة] أحياناً كثيرة وقليلة؛ لأنها طبيعة فيه» «فإن الكلام النبوي لا يعتريه شيء مما سمينا لك أنفاً بل تجده قصداً محكما متسايراً يشد بعضه بعضاً... وهذا لا يتأتى إلا بعناية من الله تأخذ على النفس مذاهبها الطبيعية». وهو كما قال -رحمه الله-: «ولولا هذا الإعجاز البلاغي لما استقام لأهل النقد صحة الاستدلال والاستنباط من ألفاظ الحديث ومعانيه، ولما استقام لأهل اللغة والأدب صحة الاستشهاد بلغة الحديث -والله أعلم-».

المطلب الثاني: نماذج من تطبيقات الإعجاز البلاغي في أحاديث الطهارة

مضى تقرير أن بلاغة النبي ﷺ تلي بلاغة القرآن الكريم، وأن ذلك مخصوص بما ثبت روايته باللفظ^(١٤٠)، ولما كانت البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال بالفصيح من الكلام أي رعاية المناسبات والأغراض التي يصاغ لها الكلام ليطابق الأغراض المنشودة منه^(١٤١) فإن علامات البلاغة النبوية انفردت بإحداث أوضاع مركبة أو مفردة في اللغة، وسلامة جهات الصنعة الكلامية في عباراته من حيث فصاحة اللغة، وقوة البيان وقام الحكمة في المعنى بلا تكلف.

وتزداد العلامة الثالثة في جوامع الكلم وهي اجتماع الكلام وقلة ألفاظه مع اتساع معناه، وإحكام أسلوبه بلا تكلف، مع إبانة المعنى واستغراق أجزائه^(١٤٢).

وسأفرد نموذجاً أو أكثر لكل علامة من تلك العلامات فيما يلي:

أولاً: في انفردته بإحداث أوضاع مفردة أو مركبة في اللغة بحيث تصير مثلاً،

ومثاله الحديث: «العين وكاء السه^(١٤٣) فمن نام فليتوضأ^(١٤٤)».

وموضع الشاهد فيه قوله ﷺ: «العين وكاء السه»، وهذا الجملة المركبة من أحسن الكنايات وألطفها^(١٤٥) قال ابن حجر^(١٤٦): «الوكاء بكسر الواو الخيط الذي تربط به الخريطة والمعنى يقظة وكاء الدبر أي حافظه ما فيه من الخروج لأنه مادام مستيقظاً أحس بما يخرج منه».

كنى بهذا اللفظ الموجز الفصيح الألفاظ البسيطة التركيب الخالي من اللفظ المستكره عن الحدث وخروج الريح؛ (لأن الإنسان مهما كان مستيقظاً كان أسته كالمشدودة الموكي عليها فإذا نام انحل وكاؤها)^(١٤٧).

وقد عدّ هذا من الأمثال لوجازته مع البلاغة^(١٤٨) كما تجلّى فيه التصوير الفني في التعبير عن المعاني بالصورة المادية المحسوسة^(١٤٩).

ثانياً: في سلامة جهات الصنعة الكلامية في عباراته من حيث فصاحة الألفاظ، وقوة البيان، وإحكام المعنى:

وأمثلة ذلك لا تحصى كثرة خاصة ما اتفق عليه الشيخان من أحاديث الطهارة، فمنها حديث: «اسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار»^(١٥١) حيث جمع الأمر والنهي الذي يتضمنه الوعيد، للدلالة على المعنى، مطابقة للغرض وهو: إفادة تعيين غسل الأعقاب والخبر بحصول التعذيب على تركه.

فبساطة التركيب في أن الجملة الأولى فعلية مكتملة الأركان، وهي تفيد طلب تجدد الحدوث والثانية اسمية تفيد الثبات والاستقرار، وكلاهما قليلة الألفاظ.

واستعملت لفظة: (الإسباغ) لإفادة معنى واسع من التمام في استيعاب الأعضاء^(١٥١) بالوضوء كما وكيفاً. واستعملت لفظة (ويل) للدلالة على التوعد بالعذاب^(١٥٢) مرفوعة -ويجوز نصبها على معنى جعل الله لهما ويلاً- والرفع أجود؛ لأن المعنى قد ثبت لهم هذا^(١٥٣) وليس المراد بها الدعاء، بل الزجر بالإخبار عن الوعيد على الفعل^(١٥٤).

ويظهر الإحكام في ترابط الجملتين أيضاً بحيث تفيد الجملة الثانية تعليلاً للأولى ونتيجة للإخلال بمقتضاها، وكذلك تناسب أصوات الحروف فيها (فأسبغوا) يناسب المد فيها للمد في (الوضوء)، والمد في (الأعقاب) يناسب صوت المد في (النار) مما يعطي الجملتين وقعاً مستساغاً في ذوق السامع -والله تعالى أعلم-^(١٥٥).

ثالثاً: في جوامع الكلم وهي الألفاظ الموجزة التي تدل على المعاني الكثيرة^(١٥٦) وقد تطلق ويراد بها ما جرى مجرى الأمثال مما سبق بيانه في المطلب الأول:

فأما مثال جوامع الكلم فقوله ﷺ^(١٥٧): «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها». وقد ذكر العلماء أن هذا الحديث جمع أصول فضائل الأعمال، الطهارة والصلاة والزكاة والصبر والتمسك بالكتاب؛ ففي معنى قوله ﷺ^(١٥٨): «شطر الإيمان» أقوالاً عدة كلها

يحتملها المعنى منها: أن الطهارة نوعان طهارة البدن: بالوضوء والغسل، وطهارة القلب: بالإيمان، ومنها أن الطهارة تخلية من الأحداث والأدران والإيمان تخلية بالمعتقدات الواجبة، ومنها أن الطهارة شرط لصحة الصلاة التي تسمى الإيمان أيضاً، وكذلك في جملة «والصلاة نور» أي نور في القلب وفي الوجه، وفي الدنيا بالهداية والبصيرة، وفي القبر، وفي الآخرة على الصراط يوم القيامة، ووصفت بالنور الذي هو ضوء بدون حرارة؛ لما تشتمل عليه من السكينة وهدوء النفس، وهو ضد الضياء المشتمل على نوع من الحرارة الموصوف به الصبر في جملة «الصبر ضياء» لما يشتمل عليه الصبر من الشدة والمعاناة سواء كان صبراً على الطاعات أو صبراً عن المحرمات أو صبراً على أقدار الله المؤلمة، وكذا جملة «والقرآن حجة لك أو عليك» فهي قاعدة كلية لا يخرج عنها مكلف (١٥٨). والله أعلم.

المبحث الرابع: الإعجاز العلمي في السنة النبوية: مدلوله، وضوابطه وتطبيقاته

لما كانت السنة النبوية وحياً من الله عبر عنه النبي ﷺ بألفاظه الشريفة أفصح تعبير وأبلغ بيان يرقى إليه البشر، ولما كان معصوماً من الخطأ في البيان (١٥٩)، فقد جاء كلامه ﷺ يحمل معاني الوحي الخالدة التي بعث بها ﷺ إلى الناس كافة لتكون تلك المعاني معجزة دائمة تتجاوز حدود الزمان والمكان وتخطب العقول البشرية على اختلاف مشاربها بما يعقلون، وذلك كي تبقى إلى جانب القرآن حجة قائمة على البشرية بثبوت السنة إلى قيام الساعة.

ولما كان في علم الله المحيط أن البشرية سوف تصل إلى مرحلة تتيه فيها بما توصلت إليه مما كشف الله لها من العلوم والمعارف بالكون وسننه، والمخلوقات وطبيعتها، فقد أنزل الله في محكم كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ما يقيم عليها الحجة بذات المنطق نفسه منطق العلم بالكون وأسراره (١٦٠) فحملت نصوص القرآن والسنة الشريفة من الإشارات الصريحة والضمنية لحقائق تلك العلوم والمعارف ما لم يتضح جميع المراد به من كل وجوهه المحتملة إلا في ضوء هذه الاكتشافات؛ لتقدم براهين جديدة قاطعة على أنه الدين الحق المنزل من الله وأنه الوحي المحفوظ كما أنزل لم يطرأ عليه تغيير ولا تبديل، ليكون ذلك بمثابة وجه جديد من الإعجاز (١٦١) يلائم الطبيعة البشرية في هذا العصر تحقيماً وعموم الرسالة، وقد أطلق عليه الإعجاز العلمي نسبة إلى أن مجاله العلوم الكونية والتجريبية.

وهذا النوع من أنواع الإعجاز لم يبرز ويشد ظهوره إلا مع ظهور النهضة العلمية الحديثة في ميادين الطبيعة والفلك والأحياء والطب في هذا العصر، غير أن الدراسات الأولى في هذا الفرع من علم الأعجاز في السنة، ظهرت قديماً في مجال الطب النبوي، فصنفت بهذا العنوان جملة من المؤلفات^(١٦٣)، تأمل مثلاً عبارة أحدهم^(١٦٣) التي صدر بها كتابه: «فهذه فصول نافعة في هديه ﷺ في الطب، يبين ما فيه من الحكمة التي تعجز عقول أكبر الأطباء عن الوصول إليها» بل أفرد بعض مصنفي كتب السنة أبواباً خاصة للطب النبوي بعنوان: كتب الطب والمرضى^(١٦٤). وذهب جملة من المحققين المعاصرين^(١٦٥) لنفي دعوى الإعجاز العلمي في نصوص القرآن والسنة مطلقاً، خشية دخول شئ من المعاني المخالفة لما ذهب إليه السلف في التفسير، أو نسبة شئ من المعاني التي هي عرضة للتغيير للنصوص الشرعية، وكلا المحذورين وإن كان واقعا للأسف بسبب حداثة هذا الاتجاه، وضعف تحرير قضاياه، والتوسع في استعماله من غير المتخصصين في التفسير، ونظراً لأن هذا البحث معقود للدراسة التطبيقية في وجوه الإعجاز عموماً فيما يخلو من المحاذير آفة الذكر، وحيث لا يتسع المجال لدراسة الخلاف، في هذا البحث الموجز، فإن من الضرورة بادئ ذي بدء ضبط المقصود من أصول هذا الفرع من علم الإعجاز وقواعده وتحديد ضوابطه حيث يمثل اتجاهًا جديدًا مؤثرًا في فهم النصوص واستخراج دلالاتها العلمية. بما يتلاءم مع مخرجات الأبحاث التجريبية في العلوم الكونية والطبيعية بل وما يسمى بالعلوم الإنسانية^(١٦٦) أيضاً

ولذلك يتعين تحديد ماهية مصطلح (الإعجاز العلمي في السنة النبوية) وأبعاده وضوابطه، وكيفية استخراج مناهج الإعجاز من النصوص، وهو ما استعين الله وأستهديه في التوفيق للإسهام في تحريره وبيانه فيما يلي:

تعريف الإعجاز العلمي في السنة:

نظراً لحداثة الدراسات المتخصصة في الكشف عن مكونات النصوص الشرعية من الإشارات العلمية وإثباتها بالطرق والمقاييس العلمية الحديثة - وإن لم يكن أصل هذا الاتجاه بدعا من العلم كما تقرر - فقد قام المختصون بذلك من المعاصرين بجهود حثيثة في ضبط أصوله وحدوده، حيث أنشئت هيئة علمية متخصصة لهذا الفرع من العلم بإشراف رابطة

العالم الإسلامي، وأصدرت جملة من الأبحاث التأصيلية فيه؛ لأن الإعجاز بهذا المفهوم يعتبر اصطلاحًا حديثًا، يحتاج إلى تعريف يميز مباحث هذا العلم.

وقد استقر تعريفهم للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (معاً) بأنه^(١٦٧):

«إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ وهذا مما يظهر صدق النبي ﷺ فيما أخبر عن ربه». ويستأنس لذلك بأما آيات في الآفاق وفي الأنفس وقد قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت ٥٣].

وعرفه أحد الفقهاء المعاصرين^(١٦٨) بأنه: «ما تكشفه العلوم الحديثة من حقائق في هذا العصر بالذات لم يكن في مقدور البشرية من قبل أن يصل إليها، وتأتي هذه الحقائق مطابقة لخبر ورد في القرآن الكريم أو السنة المطهرة».

- فأما قوله: «في هذا العصر بالذات» فلا أحسبه أرادته قيدًا في التعريف؛ لأن الحقائق التي ستكتشف لاحقًا في العصور الآتية مرادة بالتعريف.

- وأما قوله: «مطابقة الخبر...» فهو قيد أدق وأخص من قولهم -في التعريف السابق- «إخبار القرآن الكريم والسنة بحقيقة... إلخ».

وأما الحقيقة المذكورة في التعريفين فقد عرفت بأنها:

١- ما خضع -أي: من النتائج العلمية- للمشاهدة والقياس، وأمكن التحقق منها بالمقاييس المتفق عليها^(١٦٩).

٢- المفهوم الذي تجاوز المراحل الفرضية والدراسات النظرية حتى أصبح ثابتًا مجمعًا عليه من قبل كافة العلماء المختصين كتمدد المعادن بالحرارة، وانكماشها بالبرودة^(١٧٠).

وكلا التعريفين يجعل الحقيقة الموصوفة به لا ترقى لمستوى النص الثابت لاعتبارات

ثلاثة هي:

أ- أن (التجربة) لا تعد حقيقته علمية بمجرد مشاهدة النتيجة^(١٧١)، وكذلك (القياس العلمي)؛ لأن إمكان الصحة والبطلان يتطرق إليهما على السواء^(١٧٢)، كما أن المقاييس المتفق عليها للتحقق من ثبوت النتائج في هذا العصر، هي نفسها قد تتغير بتطور الإمكانيات والوسائل، فتتغير النتائج تبعاً لذلك، ولذا فغالبا الحقائق العلمية نسبية؛ لأنها كما قال أحد علماء العصر: «لا يمكن أن توصف المشاهدة الإنسانية بأنها كاملة»^(١٧٣).

ب- أن الإجماع المتحقق من قبل المختصين في عصر ما على فرضية ما لا يجعلها حقيقة مطلقة بالنسبة لعصر بعده لاحتمال تطور الوسائل والمقاييس المادية فيطراً على تلك الحقيقة التغيير أو التعديل^(١٧٤)، ولأن الإجماع المذكور ليس هو الإجماع المعصوم فلا حجة فيه بمجرد.

بل يمكن القول إن الحقائق العلمية ما لم تكن يقينية تظل محتملة للنسبية، فمتى صدقها التنزيل بمطابقتها لمدلول النص، صارت مطلقة قاطعة وعندئذ يمكن أن تنسب إلى إعجاز النص الشرعي.

ج- إن الإعجاز العلمي دليل لإثبات النبوة والوحي، وهما قطعيان فلا يكون دليلهما ظني أي: يشمل الإعجاز وعدمه، ولذا فلا يبنى الإعجاز العلمي إلا على الحقائق اليقينية^(١٧٥) من العلم التي تطابقت مع مدلول النص صراحة لا مجرد إيمانه وإشاراته المحتملة.

ولعل أقرب تعريف للحقيقة العلمية اليقينية التي يصلح أن تكون إعجازاً في النص الشرعي هو تعريف موريس بوكاي^(١٧٦) أنها: «كل ما ثبت بشكل نهائي، والتي لا يمكن الرجوع عنها... التي ثبتت بشكل كاف بحيث يمكن استخدامها دون خوف الوقوع في مخاطرة الخطأ»^(١٧٧).

الثالث: أن تقييد الحقيقة العلمية (في التعريف) بما ثبت عدم إمكانية إدراكه بالوسائل البشرية في زمنه ﷺ فيه نظر؛ لأنه لا فرق بين أن تكون الحقيقة اليقينية مما يدركه المختصون في زمنه أو بعد زمنه؛ لأن الإعجاز إنما هو في مجيئها على لسان نبي أمي لا يملك شيئاً من وسائل المعرفة العادية بالكون ولم يتعاطها.

ولأجل ذلك القيد (عدم إمكانية إدراكه بالوسائل...) لم يعتبر موريس بوكاي أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(١٧٨) من آيات الإعجاز العلمي؛ لأن ضيق الصدر عند صعود المرتفعات أمر معروف للعرب بسبب وجود كثير من المرتفعات في جزيه العرب وقت التنزيل^(١٧٩).

ولو قيدت: (بما لم يعلم تفسيره بالوسائل البشرية في زمنه ﷺ) لكان أوجه، لكن لا يظهر لي أن هذا القيد مؤثر - والله أعلم -.

و في كتاب: (موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي للمارديني: (ص: ٥٠) تعريفًا: (للإعجاز الطبي) قريباً من تعريف الإعجاز العلمي وهو: مطابقة أقوال وأحاديث وسنن الرسول الكريم ﷺ من حقائق طبية وصحية.

وعليه ملحوظات، وهي:

- ١- أنه حصره في الإعجاز الطبي.
- ٢- أنه جعل الأصل الحقائق الطبية، وظاهره أن ما جاء في السنة يعرض عليها، وهي تؤكد وتكشف صحته، أو تنفي فتكون السنة بذلك تبع للعلم.
- ٣- أنه لم يقيد الأقوال والأحاديث بالثبوت.

وعليه يمكن القول بأن الإعجاز العلمي يطلق على:

ما طابق يقينا النص أو الدلالة الراجحة للحديث الثابت مما يتوصل إليه العلماء من الحقائق اليقينية العلمية في أنواع العلوم التجريبية،

المطلب الأول: ضوابط الإعجاز العلمي في السنة النبوية^(١٨٠):

في ضوء مفهوم الإعجاز العلمي في السنة كما تقرر، وما رسمه المختصون من شروط إثباته، يمكن حصر ضوابطه في السنة فيما يلي:

- ١- ثبوت الحديث سواء كان مروراً باللفظ أو بالمعنى شرط جمع رواياته بألفاظها المختلفة؛

لدفع احتمال ما ليس مراداً به ولا يوضح مراده؛ لأن طرق الحديث ورواياته المختلفة - إذا صحت - تفسر بعضها بعضاً.

٢- جمع الآيات القرآنية والأحاديث الواردة في الباب أو الموضوع؛ لأنها تؤكد الدلالات المرادة بالنص وتنفي ما عداها.

٣- ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتاً يقينياً غير قابل للشك أو الاحتمال أو النقص.

فلا يصح أن ينسب إلى النص إعجاز إلا في الحقائق العلمية المطلقة (اليقينية)، لأن مقتضى ذلك دخولها في الآيات التي وعد الله بإظهارها ونصبها أعلاماً ودلائل على أن ما أنزل على النبي ﷺ حق من الله في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١٨١) فما لم تكن تلك الحقيقة بياناً ودلالة واضحة على أن النص حق فليست بآية ولا يصح دخولها في الإعجاز.

٤- نصوص الموضوعات التي لا تقع تحت دائرة الإمكان العلمي للبشر بمعزل عن هذا الإعجاز وذلك كأحاديث الصفات والجنة والنار والبعث والساعة، وذلك لأن الحقائق المبنية على التجربة والقياس لا تخرج عن نطاق الممكن للعقل البشري، وأما تلك الموضوعات فمن الغيب الذي لا يمكن معرفته إلا بالوحي.

٥- يلزم لتحقيق مناهج^(١٨٢) الإعجاز، أي: (إظهار وجه التطابق بين دقائق التعبير النبوي ودقائق التركيب العلمي الذي تصفه الحقيقة) عدة شروط، وهي:

أ- العلم بدلالات الألفاظ^(١٨٣)، وقواعد اللغة، وأصول النظر والاستدلال وقواعد الترجيح^(١٨٤)، وتوظيف تلك القواعد في إظهار وجه الإعجاز

ب- العلم بأبعاد الحقيقة العلمية وشواهد.

ج- الاسترشاد بأقوال شراح الحديث والفقهاء في النص.

فمتى كان البحث عن الإعجاز وفق هذه الضوابط لم يخالف مضموناً شرعياً، ولم ينجح إلى تكلف أو تأويل حمل النص على غير المعاني الظاهرة الدلالة^(١٨٥). والله أعلم.

المطلب الثاني: نماذج من تطبيقات الإعجاز العلمي في أحاديث الطهارة

وفقاً لتعريف الإعجاز العلمي فإن جملة كبيرة من أحاديث الطهارة يتطابق صريح مدلولها مع جملة من الحقائق العلمية اليقينية في مجال الطب الوقائي^(١٨٦) حتى لتبدو كثير من أحكام الطهارة وسننها كأنها إجراءات لتعزيز مناعة الفرد ضد الأمراض، ومناعة المجتمع ضد الأوبئة مع ما رتب عليها من الفضل الأخروي.

ومن أمثلة الحقائق العلمية التي وصلت إلى مرحلة اليقين وتأكدت من جوانب عدة كيميائية وطبية وحيوية كون السواك هو المطهر المثالي للفم من جميع الوجوه، وتطابق هذه الحقيقة: (المركبة من جملة حقائق غير قابلة للشك) مع صريح مدلول قوله ﷺ: «السواك مطهرة للفم»^(١٨٧)، وقوله ﷺ: «طيبوا أفواهكم بالسواك»^(١٨٨) هو إعجاز علمي للسنة بكل المقاييس إذ مقتضى صريح النص وجود المواد المطهرة فيه؛ لأنه سماه (مطهرة) فاقترض أن يكون هذا وصف لازم له، وقوله (طيبوا) يفيد أن السواك مطيب للفم، وقد تضافرت الحقائق العلمية كيميائية وحيوية وطبية لتظهر هذين الوصفين وتبين عنها.

وسأفرد حقائق كل جانب من هذه الثلاثة لتكون بمثابة بيان لمناط الإعجاز العلمي في الحديثين.

أولاً: في الحقائق الحيوية (البيولوجية)^(١٨٩):

أ- من الحقائق العلمية المتعلقة بالفم:

- أنه معبر ومستقر لأعداد وأنواع كثيرة من الجراثيم تزيد على: (١٠٠) نوع، ويتراوح عدد تلك الجراثيم في العادة ما بين (٥٠٠-٥٠٠٠) مليون جرثومة في المليمتر الواحد من اللعاب تتغذى على بقايا الطعام على الأسنان وما بينها، وتنتج أحماضاً وإفرازات تؤثر على لون الأسنان وتركيبها وأدائها، وتركيبها وأدائها، وتنتج الروائح الكريهة للفم وتسبب في عدد من أمراض الأسنان واللثة^(١٩٠)، بل واللوزتين والبلعوم^(١٩١) ومضاعفاتها العديدة التي ليس أقلها روماتيزم القلب أو إصابة الكلى^(١٩٢).

- أنه توجد حول الأسنان ميازيب لثوية بها فجوات صغيرة موجودة بشكل خلقي وطبيعية على طول حافة اللثة تتجمع فيها الفضلات^(١٩٣).

ب- من الحقائق العلمية (الحيوية) المتعلقة بالسواك احتواءه على ما يلي:

حزم من ألياف السليلوز^(١٩٤) مرتبة في طبقات تشكل الألياف المنظمة تتخللها قنوات مليئة بمواد عطرية ومطهرة وزيت طيارة، ومواد غير معروفة، ومحاطة بنسيج قشري واقفي يمنع تسرب تلك المواد، وهذه المكونات مغلفة بطبقة فليينية خارجية لمنع تبخر المواد والمحافظة على رطوبة الألياف^(١٩٥).

ثانياً: في الحقائق الطبية^(١٩٦):

أثبتت الدراسات الطبية فعالية السواك في تطهير وتطيب الفم ووقايته من مختلف أنواع الأفات التي تتعرض لها الأسنان واللثة واللسان جراء وجود الجراثيم فيه بصفة مستمرة طبيعياً، وذلك لما يتوفر فيه من الخصائص العلاجية الآتية:

١- ألياف السواك تعمل على تحريك وطرده الفضلات الموجودة على سطح الأسنان في الميازيب اللثوية فتمنع استقرار الجراثيم فيها، كما تقوم بتنشيط الدورة الدموية بالفم وهذا المفعل الميكانيكي يفوق الفرشاة؛ لأنه أكثر مرونة في الوصول لجميع أجزاء الفم وأسطحه، ولسهولة دخوله بين الأسنان وإدخال المواد التي يفرزها السواك بين الأسنان وفي الميازيب اللثوية.

٢- تكون المواد الشمعية في السواك طبقة عازلة تغلف أسطح الأسنان الخارجية وتزيد مناعتها ضد التسوس، كما تساعد علي شد الأنسجة المخاطية المرئية للثة والأنسجة المحيطة بها.

٣- المضادات الحيوية - كالسلفا وغيرها- الموجودة بالسواك قاتلة للجراثيم وموانع لنموها مما يعالج التهابات اللثة والخراجات.

٤- السنجرين، والزيت العطرية الموجودة في السواك كزيت الخردل ومادة العفص تعمل كمواد معقمة ومطهرة ومضادة للتعفن وقابضة توقف النزيف، ومطيبة لرائحة الفم.

- ٥- كما أن الزيوت تعتبر مواد زالقة للأوساخ والفضلات وباجتماعها مع حركة الألياف تخلط المواد المترسبة على الأسنان المتسببة في اصفرارها (القلح) وتزيلها.
- ٦- المواد الصمغية والأملاح والنشا تساعد على توزيع المواد الفعالة في السواك داخل الفم واللسان؛ لأنها تسبب زيادة في إفراز اللعاب وتجعل له قواماً لزجاً يساعد علي التنظيف.
- ٧- بعض المركبات الكيميائية في السواك ثبت أنها تمنع نمو بعض أنواع الأمراض السرطانية وتقلل من الإصابة بسرطان الفم.
- ٨- مادة السليكو الموجودة بالسواك منظفة للترسبات بين الأسنان مما بقي من التسوس.
- فثبت بذلك أن السواك واق ومعالج لجميع آفات الفم واللثة والأسنان وهي (القلح، نخر، الأسنان (التسوس)، التقيح والخراجات، التهابات الفم واللثة، بخر الفم).
- فإذا علمنا ذلك أدركنا السر والإعجاز فيما تضمنه الحديثان السابقان من وصف السواك بأنه مطهرة، ومطيب، حيث عبرت هاتان الكلمتان عن جملة الحقائق العلمية التي أثمرتها نتائج الدراسات الحيوية والطبية للسواك لعدة سنوات.
- وقد ورد في السواك أيضاً أحاديث فعلية ذات مدلول يدخل في الإعجاز العلمي في السواك وإليك نموذجاً منها:

الإعجاز العلمي في الأحاديث الفعلية في السواك:

ثبت في الصحيح عدة أحاديث في استعمال النبي ﷺ للسواك منها ما أخرجه البخاري^(١٩٧)، عن أبي موسى الأشعري قال: «أتيت النبي فوجدته يستن بسواك بيده يقول: أع أع والسواك في فيه كأنه يتهوع).

وفي رواية أخرى^(١٩٨): «يتسنن إلي فوق».

والحديث كما قال ابن حجر^(١٩٩): «حكاية صوته ﷺ إذ جعل السواك على طرف لسانه... والمراد: طرفه الداخل)، قال: (والتهوع: التقيؤ أي له صوت كصوت المتقيئ علي سبيل المبالغة... ويستفاد منه مشروعية السواك على اللسان طولاً».

ومقتضاه إيصال إفرازات السواك إلى الجزء الخلفي من اللسان مما يلي الحنجرة.

وهذا الاستعمال محقق الكمال وصف السواك - في الحديثين القوليين - بأنه مطهرة ومطيب كما كشفت عن ذلك الدراسات المجهرية المتخصصة في علم (الأنفاس الكريهة) (٢٠٠) حيث تم التوصل إلى حقيقة أن المصدر الرئيسي للنفس الكريه، هو القسم الخلفي للسان: (إذا لا يقوم اللعاب بتنظيف هذه الناحية جيداً كما أنها تحتوي علي العديد من الانطلاقات الدقيقة التي تستطيع البكتيريا الاختباء فيها وتجد البكتيريا في هذا المكان مصادر غير متوقعة للغذاء تتمثل في التسلسل الأنفي الخلفي) (٢٠١).

الخاتمة:

وبعد فالله أكبر، والحمد لله علي نعمة الإسلام، وهذه شهادات ناطقة انطق الله بها العلم لتدل على آيات من الآيات التي وعد بإظهارها مصدقة لوجيه ولنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿سُنِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

وقد خلاص البحث إلى ما يلي:

١- دلت نتائج الفحص والتحري عند المحققين القدماء والمعاصرين وشواهد الوقوع على وجود الأدلة على إعجاز السنة النبوية بما اشتملت عليه من وجوه الإعجاز البلاغي والتشريعي والغيبى والعلمي

٢- تضمنت أحاديث الطهارة جملة من وجوه دلائل نبوته ﷺ من حيث الإعجاز التشريعي والبلاغي، والإخبار بالمغيبات، والإخبار بما لم تتوصل علوم الآلة البشرية لإدراكه من الحكم واللطائف العلمية المادية إلا في هذا العصر،

٣- لكل وجه من وجوه الإعجاز ضوابط خاصة، لا تتم دعوى وجود الإعجاز إلا بها وينبغي مراعاتها في هذا الفرع من فقه السنة النبوية

التوصيات:

أوصي الباحثين باستكمال البحث في التطبيقات الدالة على إعجاز السنة النبوية في أبواب الحديث الأخرى، انطلاقاً من التدبر والتأمل في الأحاديث النبوية وفهمها وفق قواعد السلف في فهم النصوص، مع الاستئناس بما تدل عليه حقائق العلم المادي القاطعة مما يتفق مع خبر الوحي الثابت عن سيد البشر ﷺ.

الهوامش والتعليقات:

- (١) المراد بالفعلية: كنبع الماء وتكثير الطعام والإسراء والمعراج ونحوها، والخبرية كإخباره بالغيب الماضي والمستقبل ونحوه، انظر بسط ذلك في مجموع فتاوي ابن تيمية (١١/٣١٥-٣١٨)، وانظر: بحث (إتحاف الأخوة بدلائل النبوة) لعبد الله اليوسف/ منشور في مجلة الحكمة عدد ١٦ ص ٢٢.
- (٢) في خمس آيات متفرقة هي: الطور: الآية: ١٣، هود: الآية: ١٣، يونس: الآية: ٣٨، البقرة: الآية: ٢٣-٢٤، الإسراء: الآية: ٨٨.
- (٣) وهي التي صنفت فيها كتب دلائل النبوة.
- (٤) سورة النجم: الآية: ٣-٤.
- (٥) ينظر دلائل النبوة لليهقي (١٨/١، ١٠).
- (٦) في كتابه دلائل النبوة: (١/٣٧).
- (٧) في الفتح: (٦/٥٨٣).
- (٨) والأمر بالنسبة لي بحاجة لمزيد نظر وبحث
- (٩) ومصدق ذلك قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ التوبة: آية: ٣٣. والمراد بالهدى: ما جاء به ﷺ وهو القرآن والسنة، ودين الحق: هو الإسلام، كما في تفسير الطبري: (٦/٣٥٦)، وتفسير ابن كثير: (٢/٣٤٩). وظهوره على الدين كله يقتضي استمرار بقائهما -القرآن والسنة- ودوامهما إلى قيام الساعة.
- (١٠) مضى تخريجه، ص: ٢.
- (١١) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب (في لزوم السنة) (٤٦٠٤) (٤/١٩٩)، والإمام أحمد في مسنده (٤/١٣١)، وابن حبان في صحيحه (١/١٨٩)، وصححه ابن حجر في موافقة الخبر (٢/٣٢٤)، وصححه الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد (٢٨/٤١٠)، والألباني في صحيح الجامع (١/٥١٦).
- (١٢) دلائل النبوة: (١/١٩) بتصرف يسير.
- (١٣) لا تخلو طبيعته ﷺ البشرية في هيئته وسمته ومأكله ونومه من علامة أو آية من آيات كماله تؤيد نبوته ﷺ من قريب أو بعيد.
- (١٤) في صحيحهما: البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي: ٤٩٨١. انظر الصحيح مع الفتح ٣/٩ ومسلم في كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس: ٢٣٩، ١٣٤/١. وسيأتي بيان دلالة الحديث في موضعه من البحث -إن شاء الله-.
- (١٥) ينظر: مادة عجز في الصحاح: (٣/٨٨٣)، والمصباح المنير: ص ٣٩٣، ولسان العرب: (٥/٣٦٩).
- (١٦) الكلبيات للكفوي: ص: ١٤٩.

- (١٧) المرجع نفسه.
- (١٨) ينظر المرجع السابق، التعريف للجرجاني، ص: ٣١، التوقف على مهمات التعاريف للمناوي: ص: ٧٥.
- (١٩) أي: دون ما نقل بالمعنى. وسيأتي تفصيل ذلك في الإعجاز البلاغي - إن شاء الله تعالى -.
- (٢٠) هو تعريف الرافي في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص: ١٣٩.
- (٢١) هكذا في الأصل ولعل صوابه: المعجز ومراده: الشيء المعجز.
- (٢٢) بوب البخاري في صحيحه من كتاب المناقب لأحاديث الإعجاز بعنوان: (باب علامات النبوة). انظر: الصحيح مع الفتح (٥٨١/٦).
- (٢٣) وقد سميت المصنفات في هذا الباب من السنة بهذا الاسم كما مر في كتابي البيهقي وأبي نعيم. وسمى صاحب (مفتاح السعادة) هذا العلم: (علم إمارات النبوة)، انظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة: (٢٩٧/١).
- (٢٤) وهما قيدان متفق عليهما في تعريف: (إعجاز القرآن)، ومختلف فيهما في تعريف: (جنس للمعجزات) - كما سيأتي -.
- (٢٥) انظر النبوات لابن تيمية ص: (٤٥)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٦٧/٤ - ٧٠) بواسطة بحث إتخاف الأخوة بدلائل النبوة ص: ٢١٠، الإعجاز العلمي في السنة النبوية: (١٩/١)، وإن ورد في القرآن لفظ (عجز)، و(معجز)، لكن ليس للدلالة على آيات النبوة. ولا يعني ذلك منع استعمال هذا اللفظ؛ لأن العبرة بالمعاني لا بالألفاظ متى صحَّ المعنى المراد به واستقام اللفظ له لغة.
- (٢٦) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي (٤٠/١).
- (٢٧) انظر: التصاريف ليحيى بن سلام ص ٣٤٨. المعجزة الخالدة للمعزز ص ٧٤-٣٥.
- (٢٨) سورة آل عمران: آية: ٤٩.
- (٢٩) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص: ١٥٧.
- (٣٠) انظر: الإعجاز العلمي في السنة: (١٩/١).
- (٣١) سورة الأعراف: آية: ٧٣.
- (٣٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص: ١٦١.
- (٣٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص: ١٤.
- (٣٤) سورة النساء: آية: ١٧٤.
- (٣٥) سورة القصص: آية: ٣٢.
- (٣٦) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص: ١٤.
- (٣٧) سورة إبراهيم: آية: ١٠.
- (٣٨) تفسير القرطبي (٣٤٧/٩).

- (٣٩) وهو تعريف الرازي، وذكره ابن تيمية في النبوات ص: ٢١، وانظر: المعجزة الخالدة ص: ١٩.
- (٤٠) انظر: التعريفات للجرجاني ص: ٢١٩، التوقيف على مهمات التعاريف ص: ٦٦٥. مناهل العرفان: (١٦/٢).
- (٤١) انظر: تفصيل ذلك في النبوات ص ١٩-٢٥-٤٤-٤٧، تحاف الأخوة بدلائل النبوة، ص: ٢١٠-٢١٦.
- (٤٢) د/حسن ضياء الدين عشر في كتابة القيم المعجزة الخالدة ص ١٩-٢٠.
- (٤٣) اعترض عليه د/ صالح رضا في الأعجاز العلمي في السنة النبوية (٢٠/١) بأنه غير جامع فلا يدخل فيها المعجزات العلمية التي اصطلح على تسميتها اليوم بالإعجاز العلمي، وكذا لا يدخل فيها المعجزات الحسية كنبع الماء وتكثير الطعام؛ لأنها لا تحمل تحدياً ظاهراً ولا ضمنياً.
- (٤٤) هو: د/ صالح رضا في كتابه القيم: الإعجاز العلمي في السنة النبوية (٢١/١).
- (٤٥) انظر: تقرير ذلك في النبوات، ص: ٢٠٧-٢٠٨، والمعجزة الخالدة، ص: ٢١-٢٢.
- (٤٦) انظر: النبوات، ص: ١٥٣-١٥٦، شرح العقيدة الطحاوية، ص: ١٥٠، فتح الباري: (٥٨١/٦)، المعجزة الخالدة، ص: ٢١، تحاف الأخوة بدلائل النبوة، ص: ٢١٤-٢١٦.
- (٤٧) النبوات، ص: ٥٣.
- (٤٨) انظر: مادة سنن في الصحاح، (٢١٣٩/٥)، ولسان العرب: (٢٢٩/٢٢٥/١٣).
- (٤٩) سورة آل عمران: الآية: ١٣٧.
- (٥٠) انظر: مادة سنن الصحاح، اللسان، المواضع السابقة.
- (٥١) طعام تأكله الإبل. انظر: اللسان، المواضع السابقة.
- (٥٢) اللسان: (٢٢١/١٣، ٢٢٦).
- (٥٣) المرجع نفسه: (٢٢٤/١٣).
- (٥٤) المرجع نفسه: (٢٢٥/١٣)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة: (٧٠٥/٢)، (١٠١٧)، وكتب: العلم، باب: من سنَّ سنة حسنة: (٢٠٥٩/٤)، (١٠١٧).
- (٥٥) منهج ذوي النظر شرح ألفية السيوطي في علم الأثر، ص: ١٠. الحديث والمحدثون لأبي زهو، ص: ١٠، معجم ومصطلحات الحديث للأعظمي، ص: ١٨٣.
- (٥٦) انظر: منهج ذوي النظر، ص: ١٠، أصول الحديث عمجج الخطيب، ص: ١٩.
- (٥٧) الأمت: ما ارتفع من الأرض، وما تسافل: أي: لا ضعف فيه ولا وهن. انظر: تهذيب اللغة الأزهرية: (٣٤١/١٤)، مادة أمت.
- (٥٨) الحديث أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده بتحقيق الأرنؤوط: (٣٦٦/٢٨)، (٤١: ١٧) صحح اسناده البزار والضياء المقدسي، وجوده ابن عبد البر. انظر: جامع بيان العلم: (١١٦٥/٢)، وتعليق شعيب الأرنؤوط عليه.

- (٥٩) وفي الحديث: «إنَّ هذا الدين متين فأوغلوا منه برفق»، أخرجه أحمد في المسند: (١٩٩/٣) عن أنس مرفوعاً.
- (٦٠) سواء القسم التوقيفي منها أو التوفيقي الذي يجتهد فيه ﷺ، ويسكت الوحي عنه إقراراً له فيكون وحياً وكلاهما يدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، وبدل له أيضاً قول عائشة -رضي الله عنها-: «كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن» ذكره السيوطي في الإتقان: (١٤١/١)، ولا يخفى أنه يخرج منه ما لم يكن من قبيل الوحي كالأفعال التي فعلها النبي على سبيل العادة،
- (٦١) سورة الشورى: الآية: ٥٢.
- (٦٢) في المطلب الأول.
- (٦٣) لا تخلو كتب شروح الحديث القديمة من بيان دقائق التعبير النبوي، ووجوه بلاغته، والحكمة منه. انظر -إن شئت- في المؤلفات القديمة للطب النبوي مثلاً: لأبي نعيم والذهبي وابن القيم، وأما إعجاز القرآن الكريم فقد صنفت فيه الكتب قديماً وحديثاً استقلالاً.
- (٦٤) الرويضة: هو العاجز الذي رضى عن معالي الأمور وقعد عن طلبها، وقد ورد في الحديث. انظر: النهاية في غريب الحديث: (١٨٥/٢).
- (٦٥) انظر مثلاً: الإعجاز في الاستشفاء بأبوال الإيل في مقال: (المضادات الحيوية في بول الإبل). مجلة الإعجاز العلمي العدد (٧).
- (٦٦) سورة النحل: الآية: ٤٤.
- (٦٧) سورة الجاثية: الآية: ١٨.
- (٦٨) سورة الحشر: الآية: ٧.
- (٦٩) بتصرف من الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل، للبابلي. ص: ٢٨، ٤١.
- (٧٠) بتصرف من الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل، للبابلي. ص: ٢٨، ٤١.
- (٧١) انظر مثلاً: الموافقات للشاطبي: (٣٢٥-٣٢٥/٢)، أصول الفقه البرديسي، ص: ٤٢٩، أصول الفقه عبد الوهاب خلاف، ص: ٢٧، أصول الفقه الإسلامي وهبه الزحيلي: (١٠١٨/٢)، وغيرها.
- (٧٢) أصول الفقه الإسلامي وهبه الزحيلي: (١٠١٨/٢).
- (٧٣) هي التي يترتب على الإخلال بها إختلال نظام الحياة وشيوع الفوضى وضياع المصالح، وترجع إلى حفظ خمسة أمور: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. انظر: الموافقات: (٣٢٤/٢)، أصول الفقه للبرديسي: (٤١٩).
- (٧٤) الحاجيات: هي الأمور التي يحتاج إليها الناس، وإذا اختلت يلحقهم المشقة والحرَج ويقصد بتشريعها رفع الحرَج كالرخص الشرعية. انظر: الموافقات: (٣٢٦/٢)، أصول الفقه للبرديسي: ص: ٤٢٢.

- (٧٥) التحسينات: هي الأمور التي ترجع إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات والخلل فيه مستنكر في تقدير العقول الراجحة والفطر السليمة. انظر: الموافقات: (٣٢٧/٢)، أصول الفقه للبرديسي: ص: ٤٢٤، أصول الفقه الإسلامي للرحيلي: (١٠٢٠/٢-١٠٢٥).
- (٧٦) انظر: الموافقات: (٣٢٦/٢، ٤٦٣).
- (٧٧) انظر: الموافقات: (٣٢٦/٢، ٤٦٣).
- (٧٨) انظر: علم أصول الفقه للخلاف: ص: ٢٨.
- (٧٩) انظر: الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل للبابلي، ص: ٤٨، منهج استنباط أحكام النزول الفقهية المعاصرة للقحطاني، ص: ٤٢.
- (٨٠) انظر: الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل للبابلي، ص: ٤٨، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة للقحطاني.
- (٨١) لم تستطع قوانين وأنظمة البشر أن تصمد طويلاً أمام تغير الظروف والأحوال والأزمة والأمكنة فضلاً عن التناقضات التي تعج بها لوائح تلك الأنظمة والقوانين. انظر: منهج استنباط أحكام النوازل: ص: ٣١.
- (٨٢) انظر: الموافقات للشاطبي: (٣٧١-٣٦٨).
- (٨٣) (١٣٢) في مبحث الإعجاز التشريعي وضوابطه.
- (٨٤) (١٣٢) وتعني تحقيق مصالح الفرد والجماعة العاجلة والأجلة وفق مستوياتها الثلاث: الضرورات والمخارجيات والتحسينات... ودفع الضرر العاجل والأجل عنها.
- (٨٥) (١٣٣) كتاب الطهارة، باب الاستطابة: (٢٣٣/١)، (٥٧).
- (٨٦) البخاري في كتاب الوضوء، باب: (من الكبائر ألا يستتر من بوله)، الصحيح مع الفتح: (٤١٣/١)، (٢١٦). ومسلم في الطهارة باب الدليل على نجاسة البول: (٢٤٠/١) (١١١).
- (٨٧) مسلم كتاب الطهارة، باب: حكم بول الطفل: (٢٣٨/٢)، (١٠٣).
- (٨٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التيمم، باب: المتيمم هل ينضح فيها، الصحيح مع الفتح: (٥٧٤/١) (٣٣٨)، ومسلم في كتابه: الحيض، باب التيمم: (٢٨٠/١)، (١١٠).
- (٨٩) في كتاب الطهارة أيضاً، باب: المسح على الخفين) الصحيح مع الفتح: (٣٩٩/١).
- (٩٠) كتاب الطهارة، باب: (الوضوء من غير حدث). انظر: الصحيح مع الفتح (٤١٢/١) (٤١٤).
- (٩١) في كتاب الطهارة، باب فضل: (إسباغ الوضوء على المكاره) (٢١٩/١)، (١٤).
- (٩٢) أخرجه مسلم في الطهارة، باب: (النهي عن البول في الماء الراكد): (٢٣٥/١) (٩٥).
- (٩٣) أخرجه مسلم أيضاً في الطهارة باب: (النهي عن الاغتسال في الماء الراكد) (٢٣٦/١) (٩٧).
- (٩٤) البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء، باب: (صب الماء على البول)، لصحيح مع الفتح: (٤٢١/١) (٢٢٠)، ومسلم في الطهارة باب: (وجوب غسل البول): (٢٣٦/١) (١٠٠).

- (٩٥) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة: (٥٨٠/٢) (٤).
- (٩٦) أخرجه مسلم في الموضوع نفسه باب الطيب والسواك يوم الجمعة (٥٨١/٢) (٧) وأخرج الحديثين أبو داود في كتاب الطهارة باب في الغسل يوم الجمعة (٩٣٠٩٢/١) (٣٤٤، ٣٤٠).
- (٩٧) وكذا في مباشرة الحائض صحيح مسلم (٢٤٣-٢٤٦) وغسل البول من الثوب وقد كان بنو إسرائيل يقرضونه انظر صحيح مسلم (٢٢٨/١).
- (٩٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب: (المسح على الناصية)، (٢٣١/١)، (٨٢) عن المغيرة بن شعبة: «أنه ﷺ مسح بناصرته وعلى العمامة».
- (٩٩) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطهارة باب الوضوء مرة مرة، ومرتين مرتين، وثلاثاً ثلاثاً من حديث الن عباس مرفوعاً، الصحيح مع الفتح (٣٣٩/١).
- (١٠٠) المصباح المنير مادة: (صعد) ص: (٣٤٠).
- (١٠١) انظر: المسألة في المغني لابن قدامة (٢٨٤-٢١٨)، المجموع للنووي (٢١١/٢) شرح فتح القدير للكامل بن إلهام (١٣٥/١) المنتقى للباقي (١١٤/١).
- (١٠٢) انظر: الأمر بما في حديث عائشة مرفوعاً: (عشر من الفطرة... الحديث)، أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب: (خصال الفطرة): (٢٢٣/١) (٥٦).
- (١٠٣) أما غسل الدم من الثوب فأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه الموضوع نفسه باب النجاسة الدم (٢٤٠/١) (١١) من حديث أسماء في المرأة التي جاءت تسال عن الثوب تصيبه دم الحيض فقال ﷺ (تحنه ثم تفرسه بالماء ثم تنضحه ثم تصلي فيه) وأما فرك المني ففيه أيضاً باب حكم المني (٢٣٨/١) (١٠٥) من حديث عائشة (ولقد رأيتني أفرکه من ثوب رسول الله ﷺ فركاً فصلي فيه).
- (١٠٤) العنكبوت: الآية: ٤٨.
- (١٠٥) انظر مثلاً: أعلام النبوة للماوردي، دلائل النبوة لأبي نعيم، دلائل النبوة للبيهقي، معجزات المصطفى ﷺ لخير الدين وائل، أحاديث سيد المرسلين من حوادث القرن العشرين لعبد العزيز السير وان، معجزات النبي ﷺ لسعيد عبد العظيم، من معجزات النبي ﷺ لعبد العزيز السلطان، وكذلك أبواب علامات النبوة ومناقب النبي ﷺ من صحيح البخاري ومسلم، وقد قمت باستقراءها -فيما عدا أعلام النبوة للماوردي، ونبوءات الرسول ماتحقق منها وما لم يتحقق لمحمد ولي الله الندوي، فلم أقف عليهما- واستخرجت منها أحاديث الإعجاز الغيبي في أبواب الطهارة فقط، -كما سيأتي بيانها في موضعه من البحث إن شاء الله-.
- (١٠٦) هو الصحابي: أخو شرحبيل بن حسنة فيما قيل، صحابي له حديث. انظر: الإصابة: (٤٢٢/٢)، التقريب: ص (٥٧٥).
- (١٠٧) هي ترس من جلد. انظر: مادة (درق) في اللسان: (٩٥ / ١٠).

- (١٠٨) الحديث أخرجه أبوداود في سننه كتاب الطهارة باب (الاستبراء من البول) (٦/١) (٢٢) والنسائي في سننه كتاب الطهارة باب البول إلى السترة. (٢٧/١) كلاهما من حديث الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن حسنة والحديث صححه ابن حبان انظر صحيحه (٧/٣٩٧) (٣١٢٧) والألباني في صحيح أبي داود (١٦) وصحيح الجامع (١/٢٨١)، (١٣١٥) وأخرج مسلم نحوه لكن موقوفاً على أبي موسى الأشعري من كلامه انظر صحيح مسلم الطهارة باب (المسح على الخفين) (٢٨٨/١) (٧٤). ومن أمثلته حديث ابن عمر مرفوعاً في صفة وضوء النبي ﷺ وفي آخره فقال: «هذا وضوءي ووضوء الأنبياء قبلي» وهو حديث أخرجه الإمام احمد (١/٨٢-٨٣) وأشار إلى تضعيفها لكن حسنه بالشواهد الألباني في صحيحه (٣٢١).
- (١٠٩) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق (باب صفة إبليس) (٦/٣٣٩) (٣٢٩٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب الإيثار في الاستنثار (١/٢١٣) (٢٣).
- (١١٠) سورة الأعراف: الآية: ٢٧.
- (١١١) في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣١/٢٠) ونقل كلامه النووي في شرحه (٣/١٢٧) دون تعليق.
- (١١٢) أخرجه مسلم في الأشربة باب الأمر بتغطية الإناء (٣/١٥٩٥) (٩٧) مرفوعاً عن جابر بلفظ «وأغلقوا الأبواب وذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً».
- (١١٣) أخرجه مسلم أيضاً في كتاب الزهد باب تشميت العاطس (٤/٢٢٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «إذا تئأب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان بدخل».
- (١١٤) (٦/٢٤٣).
- (١١٥) ومن الأمثلة أيضاً على الإعجاز الغيبي في أحاديث الطهارة حديث: «إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث» أخرجه أبو داود في سنن كتاب الطهارة باب: ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء (١/٢) (٦) من حديث زيد ابن أرقم مرفوعاً، ونحوه حديث ابن مسعود مرفوعاً لما ذكر قصة ليلة الجن، وفي آخره فقال: «فلا تستنجوا بها فإنها طعام إخوانكم» أي: العظم والبعر (الروث) أخرجه مسلم في الصلاة باب الجهر في القراءة في الصحيح (١/٤٥) (٤٥٠) ولأجل هذه القطعة من أخرجه أبو داود في الطهارة باب ما ينهى أن يستنجي به (١/١٠) (٣٩) بمعناه.
- (١١٦) مضى نصه وتخرجه في المطلب الأول من البحث الأول، ويدخل في ذلك إخباره عن أصل خلقة الإبل أنها خلقت من الشياطين في الحديث الذي أخرجه أبو داود في باب الوضوء من لحوم الأبل (١/٤٦) (١٤٨) عن البراء مرفوعاً: «لا تصلوا في مبارك الإبل فإنها من الشياطين»، وأخرجه ابن ماجه في المساجد كتاب الصلاة في أعطان الإبل: (١/٢٥٣) (٧٦٩) من حديث عبد الله بن المعقل بلفظ: «فإنها خلقت من الشياطين» وهو حديث صحيح الإسناد. وانظر: دراسة أسانيده في التوضيح شرح الجامع الصحيح لابن الملقين تحقيق كتاب الطهارة: (٣/٨٠٨-٨٠٩) =

- =ومتى صح إسناده فالمتن في أمر غيبي لا يحمله العقل لكن يجهل كنهه وسبيل اعتقاده كسبيل اعتقاد خلق الملائكة من نور، والجن من نار، والأصل فيها ثبوت النص لا غير -والله أعلم-.
- (١١٧) ابن السكن الأنصاري صحابي. سكن مصر وولي طرابلس وبرقة مات سنة ٦٥هـ. التقريب: (٣٣٠)، الإصابة: (٥٢٢/١) وحديثه أخرجه أبو داود في سننه باب ما ينهي أن يستنحي به: (١/٩) (٣٦)، وأحمد في مسنده: (٢٨/٢٠٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/١٣١٠)، وفي إسناده أحمد (ابن لهيعة) ولذا ضعفه محققه.
- ومثال آخر: حديث ابن عباس أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءاً فقال من وضع هذا؟ فأخبر فقال: «اللهم فقه في الدين» أخرجه البخاري في الوضوء، باب: (وضع الماء عند الخلاء): (٣٢١/١) (٤٣) فتحقق دعوته في ابن عباس بالفقه في الدين تصديق للخبر المتضمن في الدعاء.
- (١١٨) أخرجه أبو داود في سننه باب: الإسراف في الماء: (١-٢٤) (٩٦)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٧١/١) (٤٠).
- (١١٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء باب غسل الأعتاب الصحيح مع الفتح (٣٥٠/١) (١٦٥)، ومسلم في صحيحه باب وجوب غسل الرجلين: (٢١٤/١) (٢٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ويدخل فيه أحاديث غفران الذنوب بالوضوء وهي متعددة فيها، وحديث: «إن إمتي يأتون غر محجلين من أثر الوضوء يوم القيامة»، في الصحيحين انظر: الصحيح الفتح (٢٣٥/١) (١٣٦)، وصحيح مسلم: (٢١٦/١) (٣٥) وحديث الحبر الذي سأل عن طعام أهل الجنة وأول من يدخلها في مسلم (١/٢٥٢) (٣٤) وحديث: (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) في مسلم (٢١٩/١) (٤٠).
- (١٢٠) انظر: مقارنة بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم، لمصطفى الزرقاء بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن إدارات البحوث العلمية والإفتاء، العدد الأول، ١٣٩٥هـ. والإعجاز العلمي في السنة النبوية: د/صالح رضا: (١/٣٤-٣٣).
- (١٢١) (١٨/٢). ونقله الرافعي في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: ٢٩٤.
- (١٢٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، ص: ٣٧٩.
- (١٢٣) المرجع نفسه، ص: ٢٨٢.
- (١٢٤) قال الشيخ مصطفى الزرقاء -رحمه الله- في البحث المشار إليه في هامش: ٢: «الحديث النبوي جاء كله على الأسلوب المعتاد للعرب في التخاطب تتجلى فيه لغة الحادثة والتفهم والتعليم في صورها ومناهجها المألوفة لدى العرب» إلى أن قال: «فهو كلام عربي من الطراز المعتاد المألوف، ولكنه على درجة عالية من أساليب البلاغة المعهودة». انظر: البحث المذكور، ص: ٩١، من مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول والأسباب المذكورة ملخصة منه.
- (١٢٥) انظر: مناهل العرفان: (١/٤٢).

- (١٢٦) المرجع نفسه.
- (١٢٧) انظر: المنار المنيف لابن القيم: ص: ٥٩. وانظر: قول الربيع بن خيثم: «لا بد من الحديث حديثاً له ضوء، كضوء النهار تعرفه وإنَّ منه حديثاً له ظلمة كظلمة الليل تنكره» في الكفانة: ص: ٤٧١، وانظر: المسألة في الوضع في الحديث للفلاتة: (٣٠٢/١)، مقييس نقد متون السنة للدميني، ص: ١٩٥.
- (١٢٨) فتح الباري: (٣٤٨/١٣).
- (١٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، الباب الأول فيه: (٣٧١/١)، (٨،٧،٥).
- (١٣٠) انظر: النهاية: (٢٩٥/١).
- (١٣١) ذكره الرافعي في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص: ٢٨٥، على أنه حديث مرفوع وليس كذلك. قال السخاوي في المقاصد الحسنة: ص: ١١٣ «معناه صحيح، ولكن لا أصل له».
- (١٣٢) انظر: الشفاء للقاظمي عياض: (٧٠/١).
- (١٣٣) هي بفتح الميم والجيم، والضمير يعود على أبلغ الناس سوى النبي ﷺ لا يعجزون عما دون بلاغته، وقد يقدر على بعضها دون البعض الآخر، وقد بين -رحمه الله- الفرق بين بلاغته ﷺ وبلاغة غيره من البلغاء في عدة مواضع من كتابه. انظر: ص: ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٥.
- (١٣٤) انظر: المرجع نفسه، ص: ٣٤١.
- (١٣٥) المرجع نفسه، ص: ٣٠٠.
- (١٣٦) المرجع نفسه، ص: ٣١٦.
- (١٣٧) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، ص: ٣٢٥-٣٢٦.
- (١٣٨) في كتابه: البيان والتبيين: (١٨/٢). والخلاف في الاحتجاج باللغة على الحديث هنا غير وارد لأن المسألة مفروضة فيما ثبتت الرواية بلفظ النبوة لا بالمعنى
- (١٣٩) إعجاز القرآن للرافعي، ص: ٢٩٧، ٢٩٣.
- (١٤٠) مضى في المطلب الثالث من المبحث الثاني في الفصل الأول.
- (١٤١) انظر معجم البلاغة العربية: ص ٨٤ بتصرف.
- (١٤٢) انظر: مطلب الإعجاز البلاغي في السنة.
- (١٤٣) أي: الإست وهو حلقة الدبر. انظر النهاية: (٤٢٩/٢).
- (١٤٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه باب الوضوء من النوم: (٥١/١) (٢٠٣) من حديث علي رضي الله عنه لكن بتثنية العين، وتقديمها، لكن أخرجه باللفظ المشهور بابن ماجه في سننه باب الوضوء من النوم (١٦١/١) (٤٧٧) والدارقطني في سننه (١٩٠/١) (٢)، كلاهما قال ابن حجر في التلخيص (١١٨/١) حسنه المنذري وابن الصلاح والنووي أ.هـ. وصححه الألباني في الجامع الصحيح (٧٦١/٢) (٤١٤٩).

- (١٤٥) انظر النهاية: (٤٣٠/٢).
- (١٤٦) التلخيص الحبير: (١١٨/١).
- (١٤٧) النهاية (٤٣٠/٢).
- (١٤٨) انظر: الأمثال والشواهد في الحديث الشريف للمعلمي ص ٣٥٣.
- (١٤٩) انظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، للصباغ ص ٢٩٦-٢٩٧، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: حديث «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث»، صحح الألباني في صحيح الجامع (١٣٥/١) (٤١٦)، التصوير الفني ص ٢٩٠، وحديث: «لقد تجرت واسعاً» وهو طرف من حديث الأعرابي الذي بال في المسجد، انظر: الأمثال والشواهد ص ٢٥٧ وغيرها.
- (١٥٠) مضى تحريجه في المطلب السابق.
- (١٥١) انظر: مادة: (سبغ) في لسان العرب: (٤٣٣/٨).
- (١٥٢) انظر: لسان العرب مادة ويل: (٧٣٧/١١) وهي كلمة زجر لمن وقع في هلكة يستحقها.
- (١٥٣) المرجع نفسه.
- (١٥٤) المرجع نفسه (٧٣٩/١١).
- (١٥٥) ومن الأمثلة على ذلك قوله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط»، أخرجه مسلم في الطهارة، باب إسباغ الوضوء (٢١٩/١) (٤١)، وحديث: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» المرجع نفسه (٤٠).
- (١٥٦) انظر: النهاية (٢٥٩/١)، ونظرات في أمثال الحديث د/عبد المجيد عبد المجيد ص ٣٨٥.
- (١٥٧) أخرجه مسلم في الطهارة، باب: فضل الوضوء: (٢٠٣/١) (١) من حديث أبي مالك الأشعري.
- (١٥٨) انظر: شرح هذا الحديث في: شرح النووي على مسلم: (٣٠/١٠٠-١٠٢) (١)، جامع العلوم والحكم (٥/٢).
- (١٥٩) سبق تقرير هذا المعنى في المطلب السابق.
- (١٦٠) انظر: مقالة للدكتور زغلول النجار بعنوان: اشراق في مجلة الاعجاز العلمي، العدد ١١، ص: ٤.
- (١٦١) وهذا الإعجاز إن كان في نص قرآني اختلف هل هو مما وقع به التحدي أو لا قديماً وحديثاً. انظر: جمال القراء للسخاوي: (٤٤/١)، والشفاء للقاضي عياض: (٢٨٠-٢٦٦/١) الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، مقدمة محمود شاكر عليه: ص: ٢٥، وانظر: مناهج العلماء في دراسة اعجاز القرآن، بحث منشور في مجلة الحكمة العدد: ١٨ من ص: ٤٣٧-٤٥٦ للدكتور: غانم الحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان لأبي حجر: ص: ١٢٣-١٣٩. أما في نصوص السنة فاتفق على أنه لا يتضمن التحدي كما سبق تقريره في مطلب تعريف الاعجاز.
- (١٦٢) سردها صاحب كتاب الطب النبوي والعلم الحديث: منه (٣٥/١-٣٠) فبلغت نحو واحد وعشرين مصنفًا منها المطبوع ومنها المخطوط.... النبوي لابن القيم، انظر: الطب النبوي: ص: ٣٣.

- (١٦٣) هو ابن القيم، انظر: الطب النبوي: ص: ٣٣.
- (١٦٤) انظر: أبواب الطب والمرضى في الصحيحين، ولا يناهني هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل بعض المرضى من الصحابة لبعض أطباء زمنه من باب تشريع الأخذ بالأسباب، ويكفي لإثبات النبوة صدقه ومطابقة خبره في هذا المجال ولو في بعض القضايا مع كونه ﷺ يعرف بالتطبب
- (١٦٥) ينظر على سبيل المثال كتاب (الإعجاز العلمي إلى أين) للدكتور مساعد الطيار.
- (١٦٦) انظر مثلاً: مقالة الإعجاز العلمي في مجال الإنسانية والاجتماعية، د/يوسف السعيد منشورة في مجلة الإعجاز العدد: ١٥، ص: ٦٤.
- (١٦٧) انظر: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، من منشورات هيئة الإعجاز العلمي، ص: ١٧، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص: ١٨.
- (١٦٨) هو: الشيخ/ عبد الله بن بيه، في مقالة منشورة له في مجلة الإعجاز العلمي، عدد: ١٠، ص: ٣٠، بعنوان: (من ضوابط الإعجاز العلمي).
- (١٦٩) انظر: مقالة منشورة في مجلة الإعجاز العلمي، العدد: ٩، ص: ٤٧، للشيخ: عبد المجيد الزنداني.
- (١٧٠) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه، وضوابطه للمصلح: ص: ٢٦.
- (١٧١) انظر: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص: ٤٥ بتصرف.
- (١٧٢) المرجع نفسه، ص: ٥.
- (١٧٣) المرجع نفسه.
- (١٧٤) كما حصل لقانون الجاذبية لنيوتن الذي كان يعتبر حقيقة قطعية حتى جاء العالم (وتر) فأجرى عليها التعديل. انظر: مقالة: (الإعجاز العلمي: ضوابط وحدود) فهد اليحيى، منشور في مجلة الإعجاز العلمي عدد: ١٥، ص: ٤٥.
- (١٧٥) يرجع الفضل في استعمال هذا القيد؛ للدكتور: محمد هيتو في كتابه: المعجزة القرآنية، ص: ١٥٤، ١٥٣.
- (١٧٦) في كتابه: (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم)، ص: ١٢. وهو: طبيب فرنسي عني بالدراسات العلمية ومقابلتها بالكتب المقدسة، كما ترجم له في الكتاب نفسه (الغلاف).
- (١٧٧) وقد فسرها وحدي الدين خان في كتابه: (الإسلام يتحدى)، ص: ٥١. بأن الحقيقة تكون في أول أمرها فرضاً إلى أن يكتشف حقائق جديدة تدعم صدقها، فيزداد اليقين بما حتى يبلغ حق اليقين عندها تكون حقيقة يقينية، وأما إذا لم تؤيدها الملاحظات اللاحقة تخليها عنها.
- (١٧٨) سورة الأنعام: الآية: ١٢٥.
- (١٧٩) انظر: (القرآن والتوراة والإنجيل) له، ص: ٢٠٩، فكرة إعجاز القرآن لنعيم الحمصي ص: ٢٦٤، ٢٧٨، ٤٣٦.

(١٨٠) (١٢٦) انظرها مجموعة في: تأصيل الإعجاز العلمي، ص: ٣٤-٣٦، ١٠٢-١٠٦، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ص: ٢٧-٣٢، تفسير القرآن مصادره وأبجدياته، ص: ١٥٣-١٥٤، الإعجاز العلمي تأصيل فكري، لسامي الموصلبي، ص: ٣٩-٤٠، الإعجاز العلمي ضوابط وحدود: مقالة لفهد البحي في مجلة الإعجاز عدد (١٥)، ص: ٤٤، وهي ضوابط مشتركة لكل الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن والسنة، وقد اصطلح على التفريق بينها وأن الأول أخص والثاني أعم، انظر: تأصيل الإعجاز العلمي: ص: ٣٣، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ص: ٣٧، ومرجع الفرق إلى أن الإعجاز ما يقطع بتحقيق إرادته بالنص والتفسير ما احتمله النص.

(١٨١) (١٢٧) سورة فصلت: الآية: ٥٣.

(١٨٢) (١٢٨) أصل مصطلح تحقيق المناط في الأصول: أن يكون الشارع قد علق الحكم بوصف فتمت تحقيق الوصف في أي عين دخل في الحكم، والاجتهاد في تحقيق مناط الأحكام، متفق عليه. انظر: فتاوى ابن تيمية: (٢٥٤/١٣)، وأما: (مناط الحكم) فهو الوصف الذي يتعلق به الحكم. انظر: الفتاوى: (٣٢٩/٢٢).

(١٨٣) (١٢٩) أي: المنطوق وأنواعه، والمفهوم وأنواعه، والمطلق والمقيد والمؤول، والمشترك، والحقيقة الشرعية واللغوية والعرفية، ومراتب استعمال كل ذلك، ومحل ذلك علم أصول الفقه واللغة.

(١٨٤) (١٣٠) أي: عند اختلاف الدلالات ماذا يقدم، وماذا يؤخر، ونحو ذلك. ومحل ذلك علم أصول الفقه وأصول الحديث وأصول التفسير.

(١٨٥) (١٣١) وأما الضوابط الأخرى فبعضها يصلح للتفسير العلمي، وهو: إيراد الوجوه المحتملة من التفسيرات العلمية (التجريبية) النص الظاهرة والبعيدة، لكن غير مجزوم بها، وبعضها الآخر خاص بنص القرآن الكريم كضابط مراعاة تناسب الآيات، وجمع القراءات، وأما ضابط عدم الجزم بكونه المعنى المراد للنص فهذا مما يتعلق بالتفسير العلمي دون الإعجاز العلمي أيضًا.

(١٨٦) عرفه أستاذ الطب الوقائي بجامعة بيل كما نقله عنه د. عبد الحميد القضاة في أحد أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بعنوان: «تفوق الطب الوقائي في الإسلام»، ص: ١٣-٥٤ بأنه: «العلم المتعلق بمنع انتشار الأمراض وتعزيز الصحة النفسية والجسمية عند الأفراد».

(١٨٧) علقه البخاري بصيغة الجزم في الصوم انظر: الصحيح مع الفتح (١٥٨/٤) وأخرجه أحمد (٤٠/٢٤٠) والنسائي باب الترغيب في السواك من كتاب الطهارة (١٠/١)، وصححه النووي في المجموع (٢٦٧/١) وانظر التلخيص الحبير (٦٠/١)، وأفاض في جمع طرقه د/صالح رضا في الإعجاز العلمي في السنة النبوية (٦٥٧/١-٦٥٨).

(١٨٨) هو في سنن ابن ماجه باب السواك من كتاب الطهارة (١٠٦/١) (١٩) من حديث علي رضي الله عنه وإسناده ضعيف. انظر: مصباح الرجاجة: (٤٣/١) قال: (ورواه البزار بإسناد جيد لا بأس به=

- =مرفوعاً ولعل من وثقه أشبه) وأخرجه السخري عن بعض الصحابة في الإبانة كما في صحيح الجامع للألباني (٧٣٠/٢) وصححه الألباني في صحيحه (١٢١٣) بلفظ (فطهروا...) وانظر: تخريج الأحاديث الأخرى فيه.
- (١٨٩) أي: المتعلقة بالكائن الحي إنساناً أو حيواناً أو نباتاً من حيث التركيب والوظائف.
- (١٩٠) انظر: بحث (تطبيب الأنفاس) للدكتور رضا رضوان منشور في مجلة الإعجاز العلمي عدد (١٥) ص٣٦، والسواك والعناية بالأسنان، د/عبدالله السعيد ص٧٩-٨٥، بحث: (تفوق الطب الوقائي في الإسلام) أحد أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي، من منشورات هيئة الإعجاز العلمي بعنوان: (من أوجه الإعجاز العلمي) ص١٧، وقد ثبت علمياً أن مرض نخر الأسنان يتسبب من الأحماض الناتجة عن تخمر المواد الغذائية في الفم والتصاقها بسطوح الأسنان، وتكون بيئة مناسبة لنمو الجراثيم. انظر: السواك والعناية ص١٢٣، ١٤١، كما ثبت أن الملح وهو راسب المواد العضوية والفضلات المتراكمة على الأسنان بعد تصلبها تسبب التهابات اللثة، وتقرح الفم، وأن القلح يترسب على الأسنان بشكل طبيعي في جميع الأفواه. انظر السواك والعناية بالأسنان ص٩٨.
- (١٩١) انظر: الطب النبوي والعلم الحديث، د/ النسيمي (١/١٧٧).
- (١٩٢) انظر: بحث (الرعاية الصحية في الإسلام) د/ محمد البار، بحث منشور في مجلة المجمع الفقهي عدد (٨) ص٣٥٥.
- (١٩٣) انظر: السواك والعناية بالأسنان ص: ٧٣ (٤).
- (١٩٤) السليلوز: هي الألياف النباتية وتمتاز بالمتانة والمرونة، وهو دعامة شد في النبات لقوته انظر: الكيمياء والكائن الحي، بلوم ص ٤٤٦
- (١٩٥) بتصرف من: السواك والعناية بالأسنان ص ٤٣-٤٤، وبحث (السواك بين الشرع والطب) صلاح حسن منشور في مجلة الحكمة عدد (٨) ص ٨٠، الإعجاز العلمي في السنة النبوية (١/٥٠٧) الإعجاز العلمي في الإسلام محمد كمال ص ١٩-٢١. الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة، لولوة العلي ص١٤٩-١٥٦
- (١٩٦) انظر: المراجع السابقة إضافة إلى السواك والعناية بالأسنان ص ١٨٩-٢٠٨، ١٩٢-٢٠٩، موسوعة الاعجاز العلمي في الحديث النبوي ص ٨٦-٨٧، ١٧٣-١٧٦.
- (١٩٧) كتاب الوضوء باب السواك الصحيح مع الفتح (١/٤٦٢) (٢٤٤).
- (١٩٨) أخرجه أحمد في المسند: (٣٢/٥١٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
- (١٩٩) انظر: الفتح (١/٤٦٣).
- (٢٠٠) انظر: مقال (تطبيب الأنفاس) للدكتور: رضا رضوان منشور في مجلة الإعجاز العلمي العدد (١٥) ص٣٦.
- (٢٠١) المرجع السابق.

المصادر والمراجع

- اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر، د. فهد عبد الرحمن الرومي، ط ٣، ١٤١٨هـ: (مؤسسة الرسالة: بيروت).
- إتخاف الإخوة بدلائل النبوة، عبد الله بن سعيد اليوسف، بحث منشور في مجلة الحكمة، عدد ١٦، جمادى الثانية ١٤١٩هـ.
- الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مصطفى البغا، ط ١، ١٤٠٧هـ (دار ابن كثير: بيروت).
- أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين، عبد العزيز السيروان، ط ١، ١٤٠٢هـ (دار الأفق: بيروت).
- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان، ط ٤، ١٤٠٣هـ (دار البحوث العلمية: الكويت).
- أصول الحديث، محمد عجاج الخطيب، ط ٤، ١٤٠١هـ، (دار الفكر: بيروت).
- أصول الفقه، محمد زكريا البرديسي، ط ٣، ١٤٠٧هـ (دار الفكر: بيروت).
- أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، ط ١، ١٤٠٦هـ (دار الفكر: دمشق).
- الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحيم مارديني، ط ٢٠٠٢ (دار المحبة: دمشق).
- الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا. ط ١، ١٤٢١هـ (مكتبة العبيكان: الرياض).
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح (الطبعة الأولى ١٤١٧هـ).
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (دار الكتاب العربي: بيروت).
- الإعلام للزركلي، ط ٧، ١٩٨٦هـ (دار العلم للملايين: بيروت).
- أفعال الرسول ﷺ ودلالاتها على الأحكام الشرعية، د. محمد الأشقر، ط ٤، ١٤١٦هـ (مؤسسة الرسالة: بيروت).
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق يحيى إسماعيل، ط ١، ١٤١٩هـ (دار الوفاء: المنصورة).
- الأمثال والشواهد في الحديث الشريف، الفريق يحيى بن عبدالله المصلي، ط ١٤١٤هـ (دار المعلمي للنشر: جدة).

- البيان والتبيين لأبي عثمان الجاحظ لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، (دار الجليل: بيروت).
- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد المجيد الزنداني، ١٤٢١هـ (مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي).
- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، الحافظ ابن شاهين، تحقيق صالح أحمد مصلح الوعل، ط ١، ١٤١٥هـ (دار ابن الجوزي: الدمام).
- التصريف، تأليف يحيى بن سلام، تحقيق هند شلي، ط ١٩٧٩، (الشركة التونسية للتوزيع).
- التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ط ١، ١٤٠٩هـ (المكتب الإسلامي: بيروت).
- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، ١٤٠٨هـ، الطبعة الثالثة: (دار الكتب العلمية: بيروت لبنان).
- تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ١٤٢١هـ (دار الكتب العلمية: بيروت).
- تفسير القرآن العظيم، الإمام إسماعيل بن كثير القرشي. ١٤٠٢هـ (دار المعرفة: بيروت).
- تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته، د. عبد الله بن الزبير بن عبد الرحمن، العدد ٢٠٢، ١٤٢٣هـ.
- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله هاشم اليماني، ط ١٣٨٤هـ (المدينة المنورة).
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهرى، تحقيق يعقوب، (الدار المصرية للتأليف والترجمة: القاهرة).
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف السنائي (دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان)، (دار الفكر: دمشق - سورية).
- جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر بن عبد الرحمن، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط ١٤١٤هـ، (دار ابن الجوزي: الدمام).
- الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو، ط ١، ١٤٠٤هـ (دار الكتاب العربي: بيروت).
- دراسات في علوم القرآن الكريم، أ.د. فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومي، ط ٧، ١٤١٦هـ (مكتبة التوبة: الرياض).
- دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، ط ١، ١٤٠٥هـ (دار الكتب العلمية: بيروت).
- دلائل النبوة، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، ط ٢، ١٤٠٦هـ (دار النفائس).

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، ١٣٩٩هـ (الدار السلفية: الكويت).
- سنن ابن ماجه حققه محمد عبد الباقي، (المكتبة العلمية: بيروت).
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ١٤٠٨هـ (دار الجيل: بيروت).
- سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، ط ٢، ١٤٠٣هـ (عالم الكتب: بيروت).
- السواك والعناية بالأسنان، د. عبد الله عبد الرزاق السعيد، ط ١، ١٤٠٢هـ (الدار السعودية: جدة).
- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل، د. محمود محمد بابلي العدد ١٣٨، (إصدار: رابطة العالم الإسلامي كتاب الشهر).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط ١، ١٣٧٦هـ (دار العلم للملايين).
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، حققه شعيب الأرنؤوط، ط ٣، ١٤١٨هـ، (مؤسسة الرسالة).
- ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم، خليل إبراهيم أبو ذياب، ط ١، ١٤٢٠هـ (دار عمان: الأردن).
- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تعليق محمود شاكر، ط ٣، ١٤٠٣هـ. (إصدار الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية: ألمانيا: ١٥).
- علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاص، ط ٢٠، ١٤٠٦هـ (دار الفيصلية: الكويت).
- علوم البلاغة (البيان والمعاني البليغ)، أحمد مصطفى المراعي، ط ٢، ١٩٨٤م (دار القلم: بيروت).
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ط ١، ١٤٢١هـ (دار السلام: الرياض) ونسخة أخرى، الطبعة السلفية بتعليق الشيخ عبد الله بن باز، وترقيم: فؤاد عبد الباقي.
- فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي، ط ٢، ١٤٠٠هـ (مؤسسة الرسالة: بيروت).
- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي (دار المعارف: القاهرة).
- الكفاية في علم الروايات، تأليف كالحطيب البغدادي، تحقيق د. أحمد عمر حاكم، ط ٢، ١٤٠٦هـ (دار الكتاب العربي: بيروت).
- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ (مؤسسة الرسالة).
- لسان العرب، لابن منظور (دار الفكر، دار صادر: بيروت).

- ما دل عليه القرآن، السيد. محمود شكري الألوسي، ط ١٣٨٠ (المكتب الإسلامية بيروت).
- مجلة الإعجاز العلمي، تصدر عن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي.
- مجلة البحوث الإسلامية، إصدار رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء.
- مجلة الحكمة، اشراف: وليد الحسين (بريطانيا: ليدز)
- مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد ٨، ١٤١٠هـ (رابطة العالم الإسلامي).
- مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد ٩، ١٤١٦هـ (رابطة العالم الإسلامي).
- مجموع الفتاوي، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ (مطابع الرياض).
- مسند الإمام أحمد حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١، ١٤٢٠هـ (مؤسسة الرسالة: بيروت).
- مسند الإمام أحمد حنبل، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ١، ١٤١٩هـ (مؤسسة الرسالة: بيروت).
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق محمد الكشناوي، ط ١، ١٤٠٢هـ (الدار العربية: بيروت).
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط ١، ١٤٠٨هـ (دار الكتب العلمية: بيروت).
- معجزات المصطفى عليه الصلاة والسلام، خير الدين وائل، ط ٣، ١٤١١هـ (مكتبة السوداني: جدة).
- معجزات النبي ﷺ سعيد عبد العظيم، (دار الإيمان: الإسكندرية).
- المعجزات الخالدة، حسن ضياء الدين عز، ط ٢، ١٤٠٩هـ (دار ابن حزم: بيروت).
- المعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيثوا، ط ٢، ١٤١٩هـ، (مؤسسة الرسالة: بيروت).
- معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ط ٣، ١٤٠٨هـ (دار المنار: جدة)، (دار الرفاعي: الرياض)
- معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط ١، ١٤٢٠هـ (مكتبة أضواء السلف: الرياض).
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة، طاش كبري زاده، ط ١، ١٤٠٥هـ (دار الكتب العلمية: بيروت).
- مفردات ألفاظ القرآن، العلامة الراغب الأصفهاني تحقيق صفوان داودي، ط ١، ١٤١٢هـ (دار القلم: بيروت).
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين السخاوي، تعليق: عبد الله الصديق (دار الكتب العلمية: بيروت).

- مقاييس نقد متون السنة، مسفر الدميني، ط ١، ١٤١٥هـ (مكتبة العلوم والحكم: المدينة النبوية).
- من معجزات النبي ﷺ، عبد العزيز محمد السلماني، ط ١٢، ١٤٠٤هـ.
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر قيم الجوزية، حققه أحمد عبد الشافي، ط ١، ١٤٠٨هـ (دار الكتب العلمية: بيروت).
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط بدون، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية).
- المنتقى للبايجي، ط ٢، ١٣٣٢هـ (دار الكتاب الإسلامي: القاهرة).
- منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة، د. سفر القحطاني، ط ١٤٢٤هـ (دار الأندلس الخضراء).
- منهج ذوي النظر، محمد محفوظ بن عبد الله الترسي، ط ٤، ١٤٠٦هـ (القاهرة: مطبعة الحلبي).
- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، تحقيق إبراهيم رمضان، ط ١، ١٤١٥هـ (دار المعرفة: بيروت).
- النوات، للإمام العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ط بدون، (دار القلم: بيروت).
- نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، د. عبد المجيد محمود، ط ٢، ١٤١٣هـ (مكتبة الصديق: الطائف).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، محمود محمد الطنالي، ط بدون، (المكتبة العلمية: بيروت).
- الوضع في الحديث، د. عمر بن حسن عثمان فلاتة، ط ١٤٠١هـ، (مكتبة الغزالي: دمشق).
- الوقاية الصحيحة على ضوء الكتاب والسنة، د. لولوة صالح بن حسين آل علي، ط ٢، ١٤٢٣هـ (دار ابن الجوزي).

